المقتطف

جزء الخامس من المجلد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٢ — ١٥ ربيع ثاني سنة ١٣٦١

المجهر الكهربي

والمرقب الكبير

عيان تريان أدق الدقائق وأقصى أجزاء الكون

يقول العالم الكيميائي الاميركي غلبرت لويس : بأجهزة العلم العجيبة نلمس بعيني أبعد النجوم كما ألمس بيدي هذه النائدة . ويقول الفيلسوف هوبتهد : ان مادة العلم تستمد من أشياء تدركها الحواس . وقد لا يكون ادراك الحواس مباشراً دائماً ، فيعتمد الفلكي مثلاً على التصوير الضوئي ولخل الطيفي ، ولكن هذه الوسائل غير المباشرة لا تجدي إلا اذا وصلت آثارها ونتائجها بطريقة ما الى العين البشرية . فالعين بهذا المعنى لا تزال الحكم الاخير في حقائق العلوم وعلى الباحث العلمي ان يعتمد على عينيه — ان لم يرَ بهما الحوادث نفسها — في قراءة ما تدوّنه الآلات والاجهزة او ما يُصوَّر من الصور ، فهو كالشرطي السرّي يبحث عن مجرم فارّ فيعثر بآثاره ولكنه لا يراه . انه ينظر الى بصماته وأوراق خطه وآثار أقدامه ، ويصنع من ذلك كله صورة عامة يهتدي بها

فارتقاء العلم الحديث ، تمّ بعد أدق العين البشرية وتزويد قدرتها بوسائل مختلفة ، مكنت العالم من رؤية ما كانت رؤيته ممتنعة بجعلتها هذه الوسائل مستطاعة . فبعد من ناحية الى المتناهي في الصغر ، ومن ناحية الى المتناهي في البعد

وليس ثمة ريب في ان المجهر مكّن علماء من ان يفوزوا في عدة لأحياء الدقيقة

فكشفت مكروبات كثيرة وعرفت أشكالها وطرق تكاثرها ، فأصبح من السهل تبيُّنها وتشخيص الامراض بها وتوفير العلاج . ولكن مضت سبعون سنة لم يطرأ على المجهر تقدم كبير ، إلاّ في العهد الاخير . نعم أتقن صنع العدسات وتركيبها ، واستعين بالأشعة فوق البنفسجية على استجلاء بعض تفاصيل الأحياء الدقيقة عن طريق التصوير بها وتكبير الصور ولكن العلماء ما فتئوا يتطلعون الى وسيلة جديدة أفعل من كل ذلك في النفوذ الى دقائق مستسرّة عن العين لصغرها ، الى ان طلعت عليهم عجيبة المجهر الكهربي

ان المجاهر التي تعوّدنا استعمالها في عهد الطلب ، لاستطلاع خلايا الدم او ألياف القطن والصوف او تركيب ورق النبات ، كانت تعتمد على أشعة الضوء منعكسة عن سطوح تلك الاجسام ومخترقة تركيباً خاصًّا من العدسات ، فيكبِّر دقيقها ، واذا كرية الدم الحمراء التي تتجمع ملايين منها في قطرة دم واحدة ، كالقرص الصغير على شريحة المجهر ، واذا ليف القطن كالغصن ، واذا خلايا النبات في بعض الاوراق واضحة المعالم والفتحات . أما المجهر الجديد فيعتمد على تيارات سريعة من الكهربات وقدرته على التكبير تفوق قدرة المجاهر المألوفة من خمسين ضعفاً الى مائة ضعف . أتستطيع ان تتصور كرية الدم الحمراء وكأنها علبة اسطوانية قطرها قدمان وارتفاعها ثلثا قدم تقريباً ، او قطعة النقد من ذوات القرشين وقطرها ميل ، او شعرة بشرية وقد اصبحت قدة ضخمة عرضها أربعون قدماً ؟ هذا هو مقياس ما يستطيعهُ الكهربي عن التكبير

هل يستطيع هذا المجهر ان يحل مشكلة الزكام ويكشف سرَّه ؟ فقد وجد معهد الرأي العام في الولايات المتحدة بعد استقصاء دقيق ، أن عدد المصابين بالزكام في الولايات المتحدة خلال أحد أسابيع نوفمبر الماضي بلغ ثمانية عشر مليوناً . وهل يتمكن رجال البحث من كشف جرثومة الانفلونزا به ، وهل يفضي الى ردّ شح الظوف المخيّم على بيوت كثيرين حيث يعاب الاطفال بالشلل ، او الكبار بالسرطان ؟

جميع هذه العلل مردُّها في نظر العلماء الى « الڤيروس » ولذلك يرجع توجيه اهتمامهم الى دراسة « الڤيروس » وخواصه ومع أنهم غير متفقين الآن هل الڤيروس مادة كيميائية سامة او جرثومة فيها حياة ، فانهم متفقون على ان « الڤيروس » مهما يكن تركيبه ، ليس شيئاً تمكن رؤيته بالمجاهر المألوفة التي تعتمد على أشعة الضوء ومن المعروف ان « الڤيروس » يشبه المكروب بعض الشبه في أنه يبقى مستكنًّا لا يضرُّ ولا ينفع الى ان يقع في بيئة تؤاتي نموّه ، فيتكاثر تكاثراً سريعاً ويحدث ضرراً لاحدَّ له . والڤيروس لايحدث مرضاً في أجسام الناس فقط بل قد يحدث مرضاً كذلك في كل جسم حيّ . فهناك ڤيروس خاص يحدث

مرضاً في ورق التبغ يدعى مرض « التبقع » او الفسيفساء (mosaic disease). وهناك نوع آخر يؤذي قصب السكر او الطماطم او اشجار الخرانج او البطاطس . ويذهب أحد الباحثين الى ان الجوع الناشيء عن آفة أصابت البطاطس في أرلندة أفضى الى هجرة ألوف من الأرلنديين الى الولايات المتحدة ، وان الڤيروس كان سبب تلك الآفة . وقد تمكن باحثان مشهوران في مسائل الڤيروس — وهما وندل ستانلي وتوماس اندرسن — [1] من رؤية ڤيروس مرض الفسيفساء بالمجهر الكهربي ، فاذا دقيقتهُ لا تزيد على جزء من مائة الف جزء من البوصة ($\frac{1}{100000}$)

وقد شوهدت كذلك جراثيم التيفود والنومونيا والدرن والجرة الخبيثة بالمجهر الكهربي ، فاستبان تفصيل تركيبها . ومنها ما له درع كثيفة تحميه فتجعل قتلهُ بمادة كيميائية عملاً شاقاً المشقة كلها . أما وقد كشف سرُّ مناعته على العلاج الكيميائي فلا يستبعد الاهتداء الى وسيلة أخرى أفعل في مكافحته . ومنها ما له أهداب تمكنهُ من التحرك فيعجز الطبيب عن تبين بؤرة معينة للاصابة . ومنها ما يظهر مقترناً بحبيبات صغيرة كأنها ڤقيليات تعيش عليه

وغنيٌّ عن البيان ان كشف قوام الجراثيم ذو منزلة عظيمة في فهم حياتها . وقد لا يكون من المستحيل معرفة افعالها الحيوية : كيف تتغذى وكيف تتكاثر وما أشبه . فاذا كشف لنا المجهر الكهربي هذه الحقائق كان ذلك توطئة لتغلب البكتيريولوجي عليها لانهُ اذا تمكن مثلاً من ان يتبين فرقاً اساسياً بين طبائع الجراثيم وطبائع خلايا الكبد والرئة والعظم فقد لا يتعذر عليه كشف عقار يؤثر في الجراثيم ولا يؤثر في خلايا هذه الانسجة الحيوية . وقد صورت جراثيم الدفتيريا المكبرة بهذا المجهر فظهرت حقيقةً تمهد الطريق لمكافحتها في المستقبل . ذلك بان هذه الجراثيم تفرز سمّاً يحتوي على أحد املاح التوريوم ، فيتحول الملح المحلول الى بلورات في داخل الجرثومة ، فتمزق اطراف البلورات المادة ، جسم الجرثومة وتقضي عليها . فكأن الجراثيم تنتحر باستعمال هذا المحلول

***

كيف استنبط المجهر الكهربي ؟ إنهُ ككثير من اعظم المستنبطات والمخترعات نتيجة مباحث كثيرة متوالية تولاها علماء في بلدان شتى ، وربما في عهود متباعدة . وقد يقال بغير خوف الاعتراض ان المجهر الكهربي بدأ في اواخر القرن التاسع عشر عندما كشف جوزيف طمسن الكهرب . والكهرب هو حجر الأساس في الاذاعة اللاسلكية والتلفزة والمجهر الكهربي .

(١) الاول من علماء معهد روكفلر لبحث الطبي والثاني من علماء مختبر البحث الاميركي

وفي سنة ١٩٢٤ طلع الشبل الفرنسي البرنس لوي ده برولي برأي في الكهرب مؤداه ان الكهربات تسير امواجاً كالضوء وبعد سنتين كشف هانس بوش Busch احد علماء جامعة يينا الالمانية ان هناك تماثلاً تاماً بين تيارات من كهربات مارَّة في لفة سلك، وبين أشعة ضوء مخترقة عدسة محدَّبة . اي ان تيارات الكهربات كأشعة الضوء، يسهل جمعها وتوجيهها بحيث تصنع شبح مكبراً . وفي سنة ١٩٣٣ طبق باحثان في برلين — يدعيان Knoll, Ruska — ما كشفه بوش فصنعا المجهر الكهربي الاول وسمياه « او برميكروسكوب » أي « فوق سكرسكوب » . وكانت قدرته على التكبير تفوق قدرة المجاهر المألوفة التي تعتمد على أشعة الضوء خمسة اضعاف او ستة أضعاف لاغير . ولكن اغتباطهما لم يلبث حتى تحوَّل حيرة فقنوطاً . ذلك بأنهما كانا ينظران من خلال مجهرهما هذا فلا يريان الجسم المكبر رؤية واضحة الاَّ لمحة عابرة ، ثم تشوَّش الصورة وتصبح مبهمة لا حدود لها ولا معالم . وكانا يجريان كل ما في اليد من حيلة ، كتحريك المفاتيح وتغيير قوة التيار الكهربي بغير جدوى . وجرَّبا أن يصورا ما يكشفه المجهر لتسجيله فكانا لا يصيبان الاَّ صورة واضحة واحدة في كل الف صورة. وكانت المشكلة الكبرى التي واجهاها هي السيطرة التامة على التيار الكهربي، لأنهُ اذا لم يكن التيار خاضعاً تماماً لسيطرة الباحث تجزأت الصورة وتفككت كما تفعل الريح بصورة معكوسة عن صفحة مياه رائقة . ولما عجزا عن اختراع الطريقة التي تمكنانهم من هذه السيطرة عاد المجهر الى المختبر الكهربي البصري لاستيفائه بحثاً ودرساً . وتدل منشورات رسكا بعد ذلك، انه تغلب على هذه العقبة

وكان في جامعة بروكسل بحاثة يدعى لادسلاوس مارتون Marton فصنع جهازاً على أساس المبادىء التي كشفت وطبقت في المانيا ، وخص جهازه هذا بدراسة البكتيريا . وقرأ الاستاذ برتن Burton رئيس قسم الطبيعة في جامعة تورنتو بكندا ، ما نشر عن هذا المجهر الجديد ، فتم في اثناء سياحته في المانيا سنة ١٩٣٦ بأن يرى هذا الجهاز وبعد عودته وجه أحد مساعديه الى صنع جهاز على مثاله . ثم شرع في صنع مجهر جديد في تورنتو في سنة ١٩٣٧ ثبت من تجربته انه يفوق كل ما صنع قبله ، في ناحيتين : ١ — قدرته على التكبير . ٢ — ضبط وشرح الصورة . وكان هذا الجهاز من صنع جيمز هيلير والبرت بريسوس تحت اشراف الاستاذ برتون . وتعاون علماء آخرون في اخراج المجهر الكهربي من المعمل الى ميدان الاستعمال العام . وقصة ذلك ان العالم زوريكين — وهو أحد الاساتذة بجامعة كولومبيا — كان يلقي في ذات ليلة من سنة ١٩٣٧ محاضرة على طائفة من المهندسين الكهربيين المتمكنين وأشار في خلال محاضرته الى جهاز سماه « المدفع الكهربي » ووصفه

بقوله إنهُ جهاز يطلق تياراً من الكهيربات للاستعمال في التلفزة ، وان هذا التيار يمكن جمعهُ كما تجمع شعاعة عريضة من الضوء في نقطة صغيرة بفعل عدسة محدَّبة . وكان بين الحاضرين من اهتم بهذه المسألة لانهُ كان مهتمًّا بالمجهر الكهربي ،فدعي زوريكين الى « شركة الراديو الاميركية » وعهد اليهِ في بناء هذا النوع من المجاهر . وفي سنة ١٩٣٨ استدعى زوريكين الدكتور مارتون من بروكسل ثم هيلير من تورنتو وشرع الثلاثة يشتغلون بصنع مجهر كهربي يصلح ان تصنع مجاهر على مثالهِ لاستعمالها في معاهد العلم والصناعة . وكان المجهر الاول ضخماً يقتضي استعماله تعاون ثلاثة من الخبراء . ثم صنع هيلير مجهراً آخر أصغر حجماً وأسهل استعمالاً وعلى مثالهِ بنيت المجاهر الكهربية التي تباع في الولايات المتحدة الآن . وكان يباع المجهر منها في اواخر سنة ١٩٤١ بمبلغ يزيد قليلاً على الفين وخمسمائة من الجنيهات .

وقد أخذ هؤلاء العلماء من فنون الراديو والتلفزة أساليب كثيرة منها اسلوب اللوح المغشى بمادة تتألق متى وقعت عليها تيارات من الكهيربات . وعلى هذا اللوح تقع صورة مكبَّرة للجسم المعروض على شريحة المجهر فاذا نظرت في المجهر بغير هذا اللوح لم ترَ شيئاً الكهيربات لا تؤثر في عصبك البصري . ولكن الكهيربات المنعكسة عن شريحة المجهر توجه الى هذا اللوح فتحدث عليهِ صورة مكبرة للجسم المعروض — كصورة الجسم المتلفز — فتراها بعينيك

وقد وصف كاتب علمي اميركي ما رآه بعينيه معروضاً أمامه فاذا هو اشبه ما يكون بخلايا كبيرة ، ولكن العالم برتون قال لهُ ان ما يراه ليس الاَّ جزيئات مركب كيميائي ، قد يكون احدى العجائن الكيميائية التي يسعون الى خلقها ؛ فتكون متصفة بصفات وخواص تجعلها أجود وأنفع في تحقيق أغراض خاصة ؛ من العجائن التي صنعت حتى الآن . فقال الكاتب ولكن كيف يساعدك المجهر في تحقيق هذا الغرض . قال برتن : — دعني أضرب لك مثلاً . قبل ان تبني موقداً من حجر عليك ان تجمع الحجارة بعد قطعها ونحتها في أحجام وأشكال توافق الموقد الذي تنوي بناءه . وعندما تريد ان تصنع إحدى العجائن الكيميائية الجديدة المتصفة بصفات خاصة مرغوب فيها ، علينا ان ندخل في بنائها الجزيئات الموافقة وهي تقابل الحجارة المعدة للموقد . وعندما نعرف حجم الجزيئات نستطيع ان نرتبها في بناء المركب الجديد وفقاً للقواعد معروفة ، على نحو ما ترتب الحجارة في الموقد وفقاً للقواعد علوم البناء . وبذلك نستطيع ان نصنع عجينة كيميائية متصفة بما نؤثر فيها من خواص

فالمجهر الكهربي لا يساعدنا على التغلب على الآفات والامراض فقط بل له فوائد لا تحصى ، كاحتمال النفوذ به الى سرّ الوسيط الكيميائي ، وتحسين صناعة المنسوجات وصبغها والجلود

ودبغها والمطاط وزيادة مدى فائدته قبل ان يفقد خواصهُ وكشف بعض الاسرار الخاصة بالبناميات والانزيمات وجزيئات المادة. ومن شأن اتساع العلم بجزيئات المادة تعجيل تقدم الكيمياء العضوية ، المدلول عليه في النيلون والحرير الصناعي والمطاط الصناعي وأشياء كثيرة أخرى . ففي الولايات المتحدة مثلاً « معهد لكيمياء الورق » وفيهِ سيكون لهذا المجهر شأن كبير في المباحث الخاصة بمتانة الورق وصقله ونفقة صنعهِ . ولا يخفى ان من أهمّ خواص الورق المستعمل في لف الطعام ، مقاومته لامتصاص الماء والروائح . وهذه الصفة مرتبطة بتركيب سطح الورق . وهو ما لا يستطيع المجهر العادي ان يكشفهُ

وهناك مثل آخر للدلالة على النفع العملي المعجّل الذي يمكن جنيهُ من استعمال هذا المجهر . وهو خاص بمشتقات النفط التي تستعمل في تشحيم الآلات وتزييتها . فتنقية هذه المواد كانت تتم بتصفيتها من خلال نوع خاص من الصلصال (clay) . وبعد ما يستعمل الصلصال لهذا الغرض مدة ما يعجز عن النهوض بعمل التصفية . ولم يعلم احد سبب ذلك . فعمد رجال صناعة النفط الى وضع الصلصال في فرن شديد الحرارة ، لاعتقادهم ان الحرارة العالية تحرق دقائق النفط المتبقية فيهِ . فلما حاولوا استعماله بعد ذلك للتصفية ، ثبت انهُ عاجز عنها فحار الصناع والعلماء في ذلك ولم يكشفت السرّ الاّ المجهر الكهربي . ذلك بان فحص هذا الصلصال بالمجهر الكهربي أثبت ان قوام الصلصال صدف مجهري دقيق جدًّا الحيوانات بحرية وان الثقوب الناشئة عن وجود هذا الصدف هي التي جعلت الصلصال صفاة صالحة . فلما أُحمي الصلصال تحولت الاصداف كتلاً صغيرة صلبة وعجز الصلصال عن التصفية . والأمثلة لا تحصى

***

في الثامن من يناير سنة ١٦٤٢ مات رجلٌ عظيم في إيطاليا . كان رجلاً وهب إيطاليا ملكاً عالميًّا دونهُ كل ما وهبها إياه القياصرة ، وكلّ ما يطمح الدوتشي اليه . مات — غاليليو — كفيفاً ولكنهُ كان أول عالم فلكي نظر الى الاجرام الفلكية بمرقب ، وهو مرقب اذا قيس بمراقب هذا العصر كان كالعدّارة جنب المدفع الحديث . فقد كان أقصى تكبيره للقمر مثلاً اثنين وثلاثين قطراً أي ان رصد القمر بهِ كان يبديهِ كأنهُ على بعد ٧٥٠٠ ميل مع ان بعده الحقيقي ٢٤٠ الفاً من الأميال . فاذا قابلنا مرقب غاليليو بمرقب جبل بالومار الجديد ، وهو المرقب الذي قطر مرآته مائتا بوصة ، وجدنا هذا المرقب الجديد يقرّب القمر حتى يبدو كأنهُ على خمسة وعشرين ميلاً منا . وهذا المرقب كلّف صنعهُ حتى الآن مليوناً ونصف مليون من الجنيهات واستغرق اثنتي عشرة سنة

ولكن اذا قلنا ان المرقب الجديد يقرب القمر حتى ليبدو على بعد خمسة وعشرين ميلاً فاننا لا نعني انهُ سيستعمل لرصد القمر خاصة ؛ او انهُ يصلح لذلك . ذلك بأن استعماله لرصد جرم سماوي قريب كالقمر يكون شبيهاً باستعمال المنظار المقرب لتبين خزانة في الناحية الأخرى من حجرة متوسطة

وعلماء الفلك يعدونهُ لاعمال أعظم شأناً من رصد القمر ؛ لاستكشاف أجزاء من الكون متغلغلة في البعد ؛ وقد يتيح لهم ان يتبينوا به أبعد معالم الكون المادي . فأقصى أجزاء الكون التي صورت بمرقب مرصد جبل ولسن تبعد مائة وخمسين مليون سنة ضوئية

ومن المنتظر ، متى بدأ العلماء يستعملون المرقب الجديد ، ان يتمكنوا من تصوير سدم قد تبعد من ٧٥٠ مليون سنة ضوئية الى ٩٠٠ مليون سنة ضوئية . والسنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة كاملة ماضياً في سرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية

وما هو هذا المرقب الكبير ؟ انهُ مرقب قطر مرآته مائتا بوصة اي نحو سبع عشرة قدماً . والمرآة في المرقب هي الجزء الذي يلتقط الضوء . كالكوة التي ينفذ منها الضوء الى العين . ولكن كوة العين لا يزيد قطرها على ربع بوصة . فهي لا تتسع لالتقاط الضوء الضئيل المنعكس عن أجسام بعيدة او صغيرة . أما مرآة هذا المرقب الجديد فتستطيع ان تجمع من الضوء ٦٤٠ الف ضعف ما تستطيع العين البشرية ان تجمعه . ويفوق المرقب العين من ناحية أخرى . ذلك بأن التحديق يعمي العين البشرية ويضعف حساسيتها بينما ألواح التصوير الضوئي الملحقة بهذا المرقب ، تزداد انطباعاً بالضوء ، كلما طال تعرضها له ، فاذا عرضت للضوء الواصل من نجم خافت زادت قدرتها على تسجيل ذلك الضوء وفقاً لطول تعرضها

***

والمرقب الفلكية نوعان المراقب الكاسرة والمراقب العاكسة . أما الكاسرة فهي ذات العدسات التي تجمع الضوء من جسم سماوي ما ، وتصنع شبحاً لذلك الجسم . ولحجم العدسات حدود فلا يمكن ان تصنع منها عدسات كبيرة جداً . لأنه من المتعذر صنع كتل كبيرة من البلور الصافي التي تصقل عدسات تامة التحدب . ثم ان الباحثين وجدوا ان العدسة الكبيرة لا تفي بالغرض لأن مناطق من النور الملوّن تتكون حول الشبح الذي ترسم وهذا التلوين ناشيء عن مرور الضوء في موشور زجاجي وانحلاله فيه . وأكبر مرقب عاكس صنع حتى الآن هو مرقب بركيز وقطر عدسته أربعون بوصة ، وليس في مراصد العالم الا خمسة مراقب أخرى يتفاوت قطر عدساتها بين ثلاثين بوصة وأربعين بوصة . أما العاكسة — وجميع

المراقب الكبيرة الحديثة ماكنة — فبدؤها صنع مرآة كبيرة مقعرة تعكس الضوء الواقع عليها وتجمعه عند محرقها فلا تكون بالضوء حاجة الى اختراق قطعة من البلور ولا يتأثر بما قد يعتور الضوء في أثناء هذا الاختراق من تكسر وتشتت. وصنع المرآة الكبيرة اسهل من صنع العدسة الكبيرة. لانهُ اذا كان لابدّ ان يكون جسم العدسة كله صافياً خالياً من الخلل فان سطح المرآة وحده يجب ان يكون دقيقاً متقن الصناعة والصقل. والواقع ان نيوتن نفسه هو اول من صنع المرقب العاكس لانهُ لم يجد في عصره وسيلة ما لاجتناب الخلل في صنع العدسات

واذا كان صنع مرآة عادية أمراً ميسوراً فان صنع مرآة قطرها مائتا بوصة ليس على جانب كبير من اليسر. فوزن بلور المرآة يزن عشرين طنّاً. وصب كتلة ضخمة من الزجاج النصهر بحيث تبرد دون ان تصاب في اثناء بردها بما يشوهها او يشققها امر شاق. ولذلك صنعت المرآة من صنف خاص من الزجاج شديد المقاومة للحرارة. وبعد ما افرغت في القالب وجب تبريدها رويداً رويداً فاستغرق ذلك سنة كاملة. ثم استغرق حفرها ثلاث سنوات، وصقلها سنة رابعة. وفي أثناء حفرها ازيل من كتلة البلور الاصلية ما وزنه خمسة اطنان من الكيسر. وبعد ما تم صقلها طليت برشاش دقيق من بخار الالومنيوم لتزداد قدرتها على عكس الاشعة وقيل ان تقعيرها تام لا يحتمل ان يصيبه الخطأ في نقطة ما أكثر من جزء من مليون جزء من البوصة. ثم نقلت المرآة ثلاثة آلاف ميل من نيويورك الى كاليفورنيا، حيث جبل بالوعار، وخصص قطار لنقلها، وعين لهُ حرّاس لحمايته، وسُيّر بسرعة ٢٥ ميلاً في الساعة لا غير. وحظر سيره ليلا خوفاً من الاصطدام، فعطّل ذلك جدول القطارات الذاهبة والآيبة بين نيويورك وكاليفورنيا، ولكن جميع القطارات انحنت احتراماً لقطار « المرقب » الزاحف زحفاً بالقياس الى سرعة القطارات العادية

***

وقبل صنع هذا المرقب، كان مرقب مرصد جبل ولسن اكبر مرقب في العالم وكان قطر مرآته مائة بوصة وقد تم صنعه سنة ١٩١٧ ومما يؤسف لهُ ان الرجل الذي دعا الى صنع المرقبين وجمع لهما المال وأشرف على تفصيل العمل — وهو الاستاذ جورج الري هايل — توفي سنة ١٩٣٨ قبل انجاز هذا المرقب العظيم الذي وصفهُ الشاعر الانكليزي المرد نورث بقوله « انه أنبل سلاح صنعهُ الانسان »

أقرب أشباه الانسان

من المجلة

لوليم مان (١)

مدير حديقة الحيوانات في واشنطن

نقلها خليل الخوري القاضي بالمحاكم السودانية سابقاً

من خصائص الانسان احترامه الاكبر بنفسه وبسائر بني الانسان اخوانه ولهذا من الطبيعي ان يعنى الانسان ايضاً بالقرود التي تشبه البشر

ومع اننا لا نرى في هذا الزمن احداً يزعم ان الانسان منحدر من نسل القردة او ان القرود هم اجداده فاننا نرى تشابهاً بليغاً بين القرود الكبيرة وبين الانسان في خصائصها التركيبية والفسيولوجية بل العقلية ايضاً . فهذه القرود الكبيرة تشبه الانسان اولاً بان ليس لها أذناب. وثانياً انها تمشي في الغالب على ارجلها فقط. وثالثاً ان في ايديها واقدامها مثل العدد من الاصابع التي في ايدي الانسان وارجله. ورابعاً ان عدد اسنان القرد كعدد اسنان الانسان. ولكن هذه القرود تختلف عن الانسان في ادمغتها . فبينما نرى ان مساحة اصغر الجماجم البشرية وهي جمجمة معروفة قديمة اكتشفت في بيرو في اميركا الجنوبية ٩١٠ سنتيمترات مكعبة، فان دماغ الغورلا الذي هو اكبر القردة لا تزيد مساحته عن ٦٠٠ سنتيمتر مكعب على ان متوسط دماغ الانسان الاعتيادي ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب

ثم ان القرود الكبيرة عرضة لكثير من الامراض التي تصيب الانسان في جهازها الهضمي زوائد دودية كالزوائد في الانسان وهي معرضة للالتهاب والقرود تلد احياناً وهي نائمة وطفل القرد يشبه طفل الانسان في انه يبقى اشهراً عالة على امه لا يستطيع الحركة ومدة الحمل عند الغورلا والشمبانزي والاورانغوتان هي تسعة اشهر ووزن جنين القرد عند ولادته يتفاوت بين ثلاثة ارطال وسبعة ارطال وعند الغورلا تبلغ مدة الحمل سبعة اشهر . وأضخم القرود الاربعة المذكورة وأثقلها وزناً هو الغورلا الذي يزيد طول قامته الامامية عن طول قامتي الشمبانزي وحجمه اكثر قوة وله صدر ضخم ويمشي على الاربع عادة ومع انه يقدر ان يمشي على رجليه وحدهما فانه يحس ذلك كثير من سائر القرود الثلاثة و يقف دائماً عند ما يضرب على صدره لاظهار الفرح أو الغيظ أو التهديد وقد كان احد الغورلات الصغار في حديقتنا مغرماً بالوقوف والدوران حتى يدوخ ويقع على الارض. وللغورلا آذان اصغر من آذان الشمبانزي

(١) نشر المقال في مجلة الجمعية الجغرافية الوطنية الاميركية National Geographic Magazine

وعيون أكثر قراراً وهدوءاً . والشمبانزي أكثر فظاظة من سائر اخوانه وخصوصاً وهو طفل فهو يفرط في المرح واللعب وهو شغوف بضرب الارض وإحداث ضجة وضوضاء

اما الاورانغوتان فهو ذو ساعدين طويلين أحمر الشعر وأحمر الرأس وله وجه مضحك واطفاله على العموم تقوم بحركات مضحكة مسلية جداً . أما البالغون فهم شرسون جداً في نظر أنفسهم وفي افعالهم وهذا القرد يعيش دائماً في الاشجار ويندر ان ينزل الى الارض الاَّ اذا اراد الانتقال من شجرة الى شجرة ولم يكن بينهما اغصان يعبر عليها كالجسور، فانهُ ينزل الى الارض ليصعد الى الشجرة التي يبغي الانتقال اليها

اما الغبون وهو أصغر الاربعة حجماً فهو دمية الاطفال الآدميين وهو صغير ومتى كبر يصبح كالبهوان في حركاته وتنقلاته من غصن الى غصن فيتعلق باحدى ذراعيه بغصن ويتأرجح ثم يمسك غصناً آخر بذراعه الآخر ، وهكذا دواليك حتى يذرع شتى الاشجار بأقل من لمح البصر

هذه القرود الاربعة : الغورلا والشمبانزي والاورانغوتان والغبون تعرف بالقرود الكبرى على انها تختلف في الحجم من الغورلا الى الغبون وهذا الاخير يوجد في جزائر باجاي على شاطىء سومطرا . ومع ان القرد المعروف باسم بابون أضخم كثيراً من الغبون فانهُ لا يعد من القرود الكبرى التي نبحث الآن في امرها . ولا ترجد القرود الكبرى في العالم الجديد

وتمتاز القرود عن غيرها من الحيوانات بان لها نداءات واصواتاً خاصة تدل على معان خاصة. فمثلاً اذا امكنك ان تنطق هذا الصوت كما ينطق به الشمبانزي « وهُوْ وهُوْ وهُوْ » استرعيت بذلك انتباه طفل الشمبانزي. فقد سمعت قروداً تبكي من الحزن وتصرخ صراخاً خاصاً اذا أغضبت . وقد اقتنى المستر جارنر المشهور بدراسة لغات القرود قفصاً في غابة من غابات القرود أقام فيهِ ١١٢ يوماً ودوَّن كثيراً مما سمعهُ من نداءات القرود وأثبت أن لها أصواتاً تدل على الذعر والغضب والفرح . وكان يستطيع فيما بعد استرعاء انتباه القرود التي يراها في المدينة بأصوات تدل على الاكل أو غيره . وقد سألني البعض هل القرد أذكى من الكلب أو العكس . وجوابي على ذلك أن القرد أكثر رقياً من الكلب بمراحل جسماً وعقلاً ولكن الفرق بينهما ان القرد حيوان بري والكلب حيوان أليف . وفي وسع القرد ان يتعلم أشياء شتى ولكنهُ لا يستطيع ان يعلِّم ما تعلم وبهذا يتفوق عليهِ الانسان

وزعم هانو البحار القرطاجي الذي أبحر جنوباً حتى شاطىء افريقيا الغربي حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد انهُ شاهد « الآدميين البريين » الذين كان اهالي تلك الجهات يسمونهم الغورلا وقد فتكوا بهم ثلاثة وأخذ جلودهم عند عودته الى قرطاجة . حتى انهُ من الشكوك فيهِ جداً ان يكون هانو قد شاهد الغورلا نفسه . ونرجح انهُ رأى الشمبانزي

ويصف اندرو باتل البحار الانكليزي الذي أسره البرتغاليون في سنة ١٥٩٠ بعد الميلاد

ونشوهُ الى الغورلا في افريقيا الغربية ، حيواناً بريًّا ضارياً اسمهُ البونجو . ويقول ان الفرق بينهُ وبين الانسان ان البونجو ليس له عضلة الساق انسماة بربة الرجل او بطة الرجل وان البونجو يمشي منتصباً ، ويصنع لنفسهِ مأوى في قلب الأشجار ؛ وانهُ يفتك بالآدميين الذين يصادفهم وانهُ يهاجم الفيلة وسلاحهُ ذواماه الجبارتان وأعواد الأخشاب ويطاردها فتفر من امامهِ والواقع ان علمنا بالغورلا يعود فقط الى سنة ١٨٤٦ التي كشف فيها القس الدكتور ولسون جمجمة الغورلا وبعد ذلك بعشر سنين اكتشف بول دي شلوي الغورلا نفسه وهو اول من توصل الى معلومات صحيحة عن الغورلا . ويقول ان الغورلا متى غضب انتصب قائماً وقرع صدره قرعاً شديداً بيديهِ مقروناً بصوت يدوي في الفضاء « بوم بوم » . وقد يكون دوي الغورلا البالغ هكذا . وقد رأيت أنا صغار الغورلا تنتصب في حالة الغضب وتقرع صدرها قرعاً مقروناً بصراخ « راث، اتات، تات» . ولو أُبيح صيد الغورلا بدون قيد لانقرض ولكن صيده الآن مقيد ولا خوف من انقراض هذا الحيوان العظيم وهو يعيش في بطاح غربي افريقيا وفي المناطق الجبلية حول بحيرة كيفو في أواسط افريقيا شمال بحيرة تنجانيكا .

أما قوة الغورلا فهي هائلة فقد رووا انهُ اذا ضربه الصياد ولم يقتله هجم عليه وأمسك بماسورة البندقية ولواها ليًّا ثم عمد الى الصياد فهشمه تهشيماً وهذا ليس بالمستغرب ففي حديقتنا اقتلع الاورانغوتان قضبان الحديد في قفصه ولواها وقطر الواحد منها ثلاثة ارباع البوصة وهو دون الغورلا في قوته . وليس هناك حيوان آخر يتحدى الغورلا فهو فوق التحدي والمعروف انهُ اذا التقى بالجاموس البري تجنب احدهما الآخر . أما الأسد والغورلا فلا يلتقيان . وبرغم قوة انيابه وشراسته فالغورلا ليس وحشاً مفترساً وهو من آكلة الأعشاب ولكنه قد يأكل الطير وبيضه

والعادة ان يسير الغورلا جماعات وينام الغورلا الاكبر متكئاً على جذع شجرة ويترك للاناث والاطفال أعلى الشجرة ليناموا فيها فاذا ضخم الشجر عمد الى البحث عن طعامه وطعام اولاده فيجتث النبات ويأكل الجذور وهو مغرم بالكرفس (البري) وأغصان الخيزران والتوت البري . ومن غريب امر هذه القردة انها بينما هي لا تهيب مقاتلة أضرى الوحوش كالجاموس البري والفيل تراها تهلع من رؤية الافعى فاذا أراد خادم القفص ان يودع فيه الغورلا انتقاله الى الحجرة الداخلية المجاورة للقفص ليتمكن من تنظيفه او العكس فلا يجد سبيلاً لحمل الغورلا على الحركة او الانتقال . فاذا حاول رشوته بالفواكه او الحلوى أشار فيه الشبهات . وقد عثر هؤلاء الخدمة على طريقة سهلة جداً لخروج الوحش الجبار فيمسك الخادم أفعى حية فلا يتم لغير الغورلا عليها حتى تصطك ركبه من الخوف وينسحب الى مقيله . وأنا لم أصدق هذا حتى رأيته بنفسي . والغورلا في الغابة متى بلغ أشده وصل وزنه الى ٣٠٠ رطل وارتفاعه

الى حوالي ست أقدام وهو يسكن في أدغال افريقيا الغربية وفي جبال الكونغو البلجيكية الشرقية . أما في استقل فيزن من حتى يزن ٦٠٠ رطل . وسلاح الغورلا عدا ذراعيه أهائلتين نابان وهما أحدّ من الخناجر وأفتك منها . والشمبانزي يعيش في افريقيا الاستوائية المتوسطة والغربية وهو أقدر بطبيعته على تحمل معيشة الأسر من الغورلا واصطياده أسهل لأنه أوفر عدداً . وتعليمه أسهل من تعليم غيره من القرود . وقد زرت أنا وزوجتي مرة حديقة الحيوانات في فرنكفورت في المانيا فقدم لنا الحارس شمبانزيًّا فصافحني مصافحة ودية جدًّا ثم قدمه الى امرأتي فأمسك يدها وقبّلها وطبع على ظهر يدها قبلة محتشمة وهو متوسم بالسكن بين الاشجار وحجمه أصغر من حجم الغورلا ولا تفاوت كبير في الحجم بين الذكر والانثى وعظم الحاجب أصغر وشكل أنفه مختلف كل الاختلاف . وقد لوحظ نوعان من الشمبانزي : ذو الوجه الأبيض وذو الوجه الأسود . وهو أخف حركة من الغورلا وكرشه أصغر

والاورانغوتان يعيش في أماكن قليلة في بورنيو وفي منطقتين من جزيرة سومطرا ومع قلة عدده فالحكومة هناك اي حكومة الهند الهولندية تحافظ عليه . وقد وضعت قوانين لصيانته بتقييد صيده — وقد اوفدت جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الاميركية بعثة الى الهند الهولندية من ستوات لدرس طبائع هذا الوحش كما يعيش في الغابة فجمعت معلومات علمية نفيسة جدًّا واسمه كلمة في لغة الملايو معناها « انسان الغابات » وهو يعيش في الاشجار ويندر ان ينزل على الأرض فاذا نزل ظهر عليه التكلف وهو لين العريكة وألين من الشمبانزي . وقابلت في سومطرا احد هؤلاء وألِفَني وصار لي صديقاً وكان أحياناً يتناول غذاءه معي ويدخن سيكارة بعد الغداء ويلذ له التدخين بعد الطعام جدًّا . وطريقة صيد هذا الوحش اما بضرب أم الطفل بالنار وقتلها ثم استلاب طفلها واما بتدبير طريقة لفصل الطفل عن سائر أهله فيمكن امساكه بسهولة . وتوفقنا في سومطرا الى اصطياد اورانغوتان كبير دون الحاق الاذى به ولا بغيره فقد عثر عليه الصيادون في شجرة كبيرة فعمدوا الى قطع الاشجار المجاورة كلها فلما قطعت أمسح القرد منعزلاً في شجرته حيث ظل زمناً ثم نزل الى الارض لينتقل الى شجرة أخرى فنصبت أمامه اشباك وعلق باحدها . وقبل ان سنت الحكومة المذكورة قوانين لحماية هذا الوحش كانوا يصطادون منه عدداً كبيراً ورأيت مرة واحداً وعشرين من هذه القرود بيعها الأم والأب والطفل وزرية وهم كثير في سومطرة وقيل لي انهم أمسكوهم باضرام النار تحت الاشجار التي وجدوهم فيها . والظاهر أن الدخان الكثيف الذي تصاعد من تلك النار المؤججة قد أرخى أعصابهم فوقعوا الى الارض وأمسكوا وقد منعت الحكومة هذه الطرق

أما القرود ذو الساعدين الطويلين فوجد في جنوب آسيا الشرقي وفي بعض جزر الهند

الشرقية وهؤلاء القردة يعيشون على ثمار الاشجار والأشجار مقرهم الدائم ولا ينزلون الى الأرض الا للانتقال الى أشجار بعيدة عن الأشجار التي يكونون فيها فيأكلون من الأشجار ويشربون ماء المطر الذي يجدونه في ثقوبها . وقد رأينا في غابات سومطرا الشمالية بعض هؤلاء القرود مستقرين في أشجار سامقة فلا يستطيع البصر ان يمتد الى أعاليها الا بعناء شديد . وهم يتنقلون من غصن الى غصن بخفة وسرعة فيخيل الى الناظر انهم يسبحون في الفضاء . وقد يهبط الواحد منهم في الفضاء حوالي ثلاثين قدماً ليمسك غصناً آخر غير الذي تركه في الأعالي . ويبادر الى الذهن انهم لا يخطئون في هذه السباحة الجوية ولا يزلون ، على انه وجد في الأحوال النادرة ان القرد قد يخطىء فيقع ويصيبه كسر في عظامه . والغيبون كغيره من القرود لا يعمر طويلاً في الأسر وقد لا يتجاوز بضع سنوات على اني أعرف غيبوناً عمّر ثلاثين سنة في حديقة الحيوانات في فيلادلفيا

وأعرف طالباً طبيعيًّا في كلية بورمندي كان يحوز جماعة من الغيبون في مزرعته وكان يتركهم أحراراً يسرحون في الزرعة كيف شاؤوا فتعوّدوا ان يتجمعوا الى القرية ويتسلقوا قبة جرس الكنيسة ويدقوا أجراس الكنيسة . ومن سنوات كان صديقي المستر هرولد كولدج في الهند الصينية الفرنسية ورأى غيبوناً جميلاً عند الحاكم العام الفرنسي يسرح في المنزل وعند ما رآه يجول بمطلق الحرية خاف على مجموعات الخزف الصيني الثمين في المنزل ان يعبث بها القرد ويحطم بعضها فظن انه الحاكم الى ان القرد لم يؤذ قط شيئاً في البيت وبينما هما كذلك اذا بالغيبون يثب الى داخل المنزل من الجنينة الى أحد الرفوف ويتناول منها صحناً ثميناً جدًّا ويقذف به الى أعلى السقف ثم يتناوله وهو ساقط قبل ان يصل الى الارض . ثم أحضر المستر كولدج الغيبون وزوجته وابنه واحدى الثلاثة البنا ولا يزالون في حديقتنا . وأضيف إلى هذه الاسرة الكريمة عضو جديد والسيامنج نوع من الغيبون ويختلف عن سائر الغيبون بأن الاصبعين الثانية والثالثة من كل من قدميه متصلتان بنسيج من الجلد كما في الخناش وله جيب او كيس منتفخ في جوار زلعومه . ومن هذا الجيب او الكيس ينبعث أحد الزعيق او الصياح الذي لا نجاريه في حدته وبدائه صياح أحد هذه القرود الأربعة . وهذا الصياح مزيج من النهيق والعواء الطويل يتصاعد وهو أشبه بصفير البراخر عند تدويمها الى الوراء . وهذا الصوت مألوف عند أهل سومطرا في الصباح والمساء والانسان هناك يسمعه من الغابات القريبة والبعيدة لتوافر السيامنج هناك . والسيامنج كسائر الغيبون خفيف الحركة سريعها والقرود من نوعه موجودة في قفص بارد له ثلاثون قدماً وذات يوم كان قرد منقضًّا في طرف القفص يحدق في خلائه في قفص مجاور وكان حارس القفص واقفاً في الطرف المقابل من القفص فاتفق ان ادار ظهره للقرد وفي نفس هذه اللحظة دق القرد ، ثلاثين فقط فوصل

الى الحارس فأمسكه بشعر رأسه باحدى يديه وجذب الرأس الى قضبان القفص ولطمهُ ايضاً بيده الاخرى لطمة عنيفة تجاوب صداها في الفضاء ثم انسل الى حيث كان . كل هذا حصل قبل ان يتمكن الحارس من الالتفات الى ورائه. وتبلغ سرعة الغيون احياناً انهُ يرى الطائر في الفضاء فيطير اليه ويمسكه بجناحه ثم يعود الى مقره على الأغصان ولا يمكّن الطائر من الفرار ويقتحم الاعشاش ويفترس الفراخ وغيرها من الكبار اذا ادركها ويأكل بعض الحشرات وهو مغرم بالجنادب وبعض الدود

المترجم — عندما كنت في السودان التقيت مرة ببلجيكي كان يقيم في الكونغو البلجيكية فحدثني بعض الشيء عن الغورلا الذي لا وجود له في السودان فقال ان الغورلا أقوى من الأسد بمراحل وقوته في ذراعيه ويديه وأنيابه وان الأسد يضرب بكفهِ الفريسة كما شاهد انهُ يضرب الأنعى ولكن الغورلا يضرب ويقبض فريسته بساعديه فاذا تمكن من امساكها ضغطها ولا يتركها حتى يقضي عليها . اما الأسد فلا يستطيع هذا الامساك ولا يفهمهُ ولا يشك ذلك البلجيكي ان الغورلا اذا اصطدم بالأسد صرعهُ حتماً بل ومزقهُ تمزيقاً. وقال لي انهُ سمع حكايات شتى من اهالي الكونغو عن ضلال أسد من الأسود وعن فتك الغورلا بهِ وانهُ لما يعرفهُ من قوة الغورلا وشراسته لم يستغرب تلك الحكايات ولكنهُ يستبعد التقاء الوحشين الجبارين . وقال ان الوحش الوحيد الذي لا قبل للغورلا بهِ ولا لأي وحش آخر هو الفيل الجبار . فلا الغورلا ولا الأسد يستطيع الفتك بالفيل وهذا الفيل هو فوق الجميع بل هو سيد الوحوش على الاطلاق وسلطانها الذي لا نزاع في سيادته . والأسد يجانبهُ عجزاً لا عفة والغورلا لا شأن له بافتراس الحيوانات فهو على العموم آكل عشب . اما الفيل فهو الوحش الشريف الكريم لا يستخدم قوته الاَّ لدفع أذى ولا يعتدي على أي من الحيوانات وقد قنع بما رزقه الله من هذه الأعشاب النظيفة فيقتات بها ويشكر الله . ويا حبذا لو اقتدى الانسان بهذا الفيل المبارك وتخلى عن العدوان لا على الحيوان المسكين فقط بل على ابن أمهِ الانسان وأين الانسان في هذا العصر من حكيم العرب الذي يقول :

غدوت مريض العقل والدين فالتقي ... لتسمع أنباء الامور الصحائح
فلا تقتلن ما أخرج الماء سابحاً ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا تتعمنَّ الطير وهي غوافل ... بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرر النحل الذي بكرت له ... قواطف من أزهار بيت قوائح
فما أحرزته كي يكون لغيرها ... ولا جمعته للندى والمنائح

فالانسان أظلم مخلوقات الله يفتك بالبائس من الحيوان الاعجم ويفتك أعظم الفتك بأخيه الانسان

العالم العربي

بين الديمقراطية والعلم
في الماضي وفي المستقبل (١)

من محاسن الاتفاق ، أنني كنت ، عند ما تلقيت الدعوة للمشاركة في هذه السلسلة من الأحاديث ، أطالع مع صديق لي ، كتاباً عنوانه « نشأة الانسانية » فيه عرض بليغ محكم لارتقاء الثقافة الانسانية ، وعوامل ذلك الارتقاء . وكنا نطالع على وجه خاص ، فصلاً في هذا الكتاب ، أفرده مؤلفه روبرت بريفولت Robert Briffault للمعهد الفكري الذي اشتهر في بغداد ، أيام المأمون وبعدها ، باسم « دار الحكمة » . وقد اتخذ المؤلف اسم هذه الدار ، رمزاً لما أسداه العرب من خدمة جليلة الى الثقافة الانسانية ، فأثنى ولم يضن ولكنه ثناء العالم المتمكن ، والكاتب الذي يزن الكلام بموازينه الدقيقة . وقد مهد لهُ ، بعد كلام طويل على عقم الحضارة البيزنطية وجمودها ، برغم مباهيها الظاهرة ، بقوله ، ان الشعلة التي سرت الى الحضارة الاوربية المنبعثة ، فأضاءت فيها نوراً كشف أمامها مجامل الطريق الوعر ، لم تستمد من الجمر الخامد تحت أكوام الخراب في أوربا اليونانية الرومانية ، ولا من غزاة الشمال الأجلاف ، بل من العرب

قبل ذلك بأسابيع ، كنت قد أنجزت اخراج كتاب « تراث العرب العلمي » ، ونشر محاضرة « معنى الديمقراطية » . اما الكتاب فللاستاذ قدري حافظ طوقان ، وأما المحاضرة فللدكتور محمد عبد الله العربي بك . فرسخت في ذهني ، على غير وعي مني ، صلة خفية بين هذه المطالعات وبين موضوع الحديث . واذا أنا اردد لنفسي : اذا صرفنا النظر عن المعاني الدينية العالية التي أشرقت على أرجاء العالم ، من هذه الأرض ففيم ثمة ريب في ان نصيب الحضارة العربية ، في بنيان الحضارة العالمية ، انما يلخص في ثلاثة ألفاظ ومعنيين . أما الألفاظ فهي « الشورى » و « دار الحكمة » . وأما المعنيان فهما على حد تعبير العصر الحديث ـ الديمقراطية والعلم . وأنا انما اتخذ من لفظ الشورى ، رمزاً لجوهر النظام الديمقراطي في الحياة من حيث هو أسلوب للحكم ، وقانون للاخلاق الفردية والاجتماعية . وأتخذ من لفظي « دار الحكمة » رمزاً للعقل الذي حللتهُ اسرار الكون ، وأومأت اليه روائع الطبيعة ،

(١) ملخص حديث ألقيه بمحطة الشرق الأدنى بالقاهرة في ٢٠ مارس ١٩٤٣ في سلسلة أحاديث « العروبة »

فانطلق باحثاً منقباً عن الحقيقة ، حرًّا من كل قيد يثقله ، الاّ قيد التفكير السليم

هنا ، في هذين الجوهرين من جواهر العمران ، يتصل حاضر العالم العربي ، من ناحية بلباب تاريخه العربق المجيد . ومن ناحية مستقبل منزلته في بناء الحضارة الثقيلة بناءً جديداً . واذا كانت شعلة البعث الاوربي سرت من دار الحكمة الى تلك القارة عند ما بدأت تتململ في احضانها بذور الحياة الجديدة في مستهل عصر الاحياء ، فني الوسع كذلك ان يساهم العرب اليوم وفي الاجيال المقبلة ، في توجيه الحياة الجديدة التي بدأت تتململ بذورها الآن ، حتى بين انقاض الحرب وخرائبها . بل ان ذلك واجب علينا ، اذا شئنا ان نرتفع الى مستوى ماضينا وتراثنا ، وان نكون مخلصين لانفسنا وأمتنا . وعمل الانشاء عمل مستمر ولا سيما بعد حرب طاحنة كهذه الحرب ، والبذرة التي تبذر اليوم يحصدها ابناؤنا وحفدتنا في المستقبل منزلة عالية ومشاركة فعالة ، في الارتقاء الانساني . والدعوة الصالحة الى النهضة ، التي ما فتئت تتجاوب أصداؤها في جنبات العالم العربي ، لا تستقيم على أساس صحيح ، في جو المستقبل الذي بدأنا نتنسم أنفاسه ، الاّ على هذا الاساس

ذلك بأن الأساس في النهضة الصحيحة ، هو الاحساس بالكرامة ، والاحساس بالكرامة يستيقظ ويستمر بالانتساب الى آباء وأجداد نفخر بهم ، وماضٍ نباهي به ، وأمجاد نفتديها . فاذا استيقظ هذا الاحساس فان كل صعب اذ يصبح الشأن للتربية القويمة والتوجيه السديد

فاذا وصلنا حاضرنا بماضينا ، اضطرمت في نفوسنا معاني الرجولة ، فتستهين بالمخاطر التي تعترض سبيلنا . واذا نقبنا عن روائع تراثنا في الحرب والسلم ، في الادب والعلم والفن ، في السياسة والاخلاق ، استقام لنا معنى الاستمرار في تاريخنا ومعنى الاتصال بذلك النبع الروحي الذي استقت منه حضارتنا وهي في عنفوانها

كل نهضة قومية حديثة قامت على هذا الاحساس ، لان الشعور بالقومية هو شعور بالشخصية ، والشعور بالشخصية لا ينشأ الاّ اذا ادركنا بأن لنا كرامة نريد أن نثبت وجودها ونفرض احترامها على الناس . وان نظرة سريعة الى تاريخ العرب الحديث ، لتكفي لاقناعنا — ان كان ثمة حاجة الى ذلك لاقناع — بأن الضمير القومي العربي استيقظ على نفحات الادب العربي ينبعث من مستودع الماضي الغني ، الذي أخذوا على دراسة هذا الادب الغني وتأمل جماله وروعته أجيال من يعشقون الضاد بلا حدود ، فقد سرت الى قلب الروح العربية ، فتيقظت الذاتية الكامنة في أعماقه ، فرسخ بقاؤها واستقر عرشها في العمق

ان الدول العربية ، حديثة الاستقلال ، في اتصال تاريخي ، وثيق لجهودها واتتاجها ، وان ما ينشأ من حركة مستقبلة هذا التي يتوخى نهضة قيمة الشعوب ولكن الاستعمار الذي تثيره الحرب ، وتوجهه التي تسيرها ، وانماء الفكر والفن التي تحرك

الشعور وكثيراً ما تعمي الاعصاب ، كل ذلك يحجب عنا أحياناً ان حكم العهود والاتفاقات وآراء الاقطاب ، متصل أوثق اتصال ، بلباب ذلك الماضي المجيد الذي نفخر به ونحاول بعثه وبناء صرح المستقبل على أساسه

فالديمقراطية ، تواجه اليوم اعظم تحدٍّ وُجّه اليها ، وهي تواجه كذلك اعظم فرصة متاحة لها ، لتبني بعد الحرب اجتماعاً بشرياً ، اركانه ان الحكم الشعبي ممكن قيامه بغير طغيان زعيم فرد متحكم ، وان الحرية مثل عالٍ بعيد ، ولكن الدنوّ منه مستطاع ، وان رفع مستوى ثقافة الجماهير ، رفعاً مطرداً مستمراً في المتناول ، وان في قدرة الناس ان يقتربوا ، مهما يطل الطريق ويتوعر ، من العدل الاجتماعي ، وان اتاحة الحياة الوافرة لكل فرد من افراد المجتمع واجب واقع على كاهل كل انسان

وفي سبيل تحقيق هذه الاغراض العالية ، يجب ان تتعاون الديمقراطية والعلم

ليس في هذه المعاني معنى ، جديد لم تنطو عليه التعاليم المسيحية والإسلامية ، بل ليس فيها معنى ، لم يفرغ على تفاوت في قالب من التطبيق العملي في العهد الاول من الحضارة العربية

أشرت قبلاً الى محاضرة الدكتور العربي بك . فاليكم مقتطفات مما قاله عن المبادىء الديمقراطية في المسيحية والاسلام : قال — وأنا أخلص قوله — :

هذه الاصول والدعائم دعت اليها الديانة المسيحية دعوة صريحة في دعوتها الى اقامة العدل والرحمة والبر والاحسان والمساواة بين البشر وفي تقرير ان الانسان في انسانيته البحتة جدير بالاحترام . . . فالمسيحية اذن مهدت للبشر الاخذ بالديمقراطية عا بثته فيهم من احكام خلقية وفضائل ، وبما رسمته من حدود سلطان الدولة على الفرد ومدى طاعة الفرد لاحكام الدولة ، وبما رفعت من شأن الفرد باضفاء اسمى تكريم وتطلق غاياته من هذه الحياة . . . . . ثم جاء الاسلام ونزل القرآن ، فجعل تلك الفضائل والاحكام الخلقية التي دعت اليها المسيحية ثم تقدم بالانسانية الى الامام قدما دعوة صريحة الى نظام حكومي هو الديمقراطية في أسمى أوضاعها . فاصول هذا النظام هي اولا اختيار رئيس الدولة وهو الخليفة بالبيعة او الانتخاب العام ، ثم تقييده في تصريف شؤون الدولة بالشورى — وهو النظام البرلماني الحديث . ثم قرر في عديد الآيات وتواتر الاحاديث تلك المبادىء الاساسية التي في سبيل انتصارها فجر بركان الثورة الفرنسية وثورات اخرى سبقتها ولحقتها ، مبادىء الحرية والاخاء والمساواة . ثم قرر تلك الاصول الدستورية التي بدونها يكون النظام البرلماني اسماً على غير مسمى ، حرية القول والرأي والنقد ، بل قرر حق النقد الى حد لم تدعه اليه الشرائع الاوربية في القرن العشرين ، كما يدل الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده (اي بالقوة) فان لم يستطع فبلسانه (اي بالغة السلطات العامة وتنبيه الرأي العام) فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » كما يدل عليه أخيراً جواب ذلك الاعرابي لخليفة عمر (لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) الى ما ردت اقتباسه في المجلس بعبر

هذه هي الشورى في الناحية الواحدة . وفي الناحية التي تقابلها دار الحكمة وما ترمز اليه

أنا أعلم ان العصر عصر سرعة ، وان الوقت لا يتسع لكل منا ، لدراسة ما خلفه العرب في العلوم والفنون جميعاً ، جنباً الى جنب ما نحتاج اليه من معدات الحياة والكفاح . ولكني اؤمن كذلك بأن دراسة ما نحتاج اليه من هذه المعدات العقلية والمادية ، لا تحدي وحدها ولا

تستقيم ، ما لم تلقّح القرائح والنفوس بلقاح التراث المجيد

ان ما ابدعهُ العرب في ميدان الثقافة قد أتى الدهر على جانب منهُ ولاسيما في العلم ، فليس في ميدان العلم شيء دائم. وقد تكون دراسة ما ابدعوه تمريناً في التاريخ لغير العرب، ولكنهُ في منزلة الركن الاساسي في صرح حياتنا الجديدة ، وهو عنصر لا غنى عنهُ في إعدادنا للاضطلاع بالتبعات الجسام التي لا بد أن تقع علينا ، في عهد الترميم والانشاء الذي يلي الحرب اذا شئنا ألاّ نتخلف عن الاضطلاع بها. وقد يكون ابن الهيثم أصاب أو أخطأ في بعض آرائه وقد تكون سجف النسيان قد أسدلت على بعض آرائهِ الصائبة ؛ ولكن ذلك لا يهمني بقدر ما يهمني ان ابن الهيثم قد أبدع في البصريات من الف سنة من الزمان ، وان الحضارة الحديثة أخذت عنهُ ما أبدع فكان لبنة من بناء صرح العلوم الحديثة . وقد تكون مئات المؤلفات والرسائل التي ترجمها وألفها رجال دار الحكمة ، او غيرهم ممن سبق عهدها الزاهر او تبعهُ مما لا يُرجع اليهِ الآن لمعرفة الرأي الاخير في هذه المسألة العلمية او تلك ، ولكن ذلك في نظري يأتي في المنزلة الثانية ، للمغزى التاريخي الاول والاهم المنبثق من ذكر دار الحكمة . هناك جمع الخلفاء طائفة من الرجال ، بغير تمييز بين عنصر او مذهب ، وأطلقوا لهم حرية البحث ، وأمدوهم بالمال وغمروهم بالرعاية وشجعوهم بالاهتمام الخاص فانطلقوا يبحثون عن كتب العلم القديم ينقلونها الى العربية ، وطوفوا في اقطار الشرق الاوسط جميعاً يجمعون الحشائش ويصفونها ، ورادوا مسائل الحساب والجبر والفلك والكيمياء والطب وأبدعوا فيها فوضعوا فيها أشهر المؤلفات ، ومنها ما بقي كتباً تدرّس في الجامعات الاوربية الى قبل قرنين من الزمان. قال بريفلت في كتابهِ الذي أشرت اليهِ في الاستهلال : «ان الذي نطلق عليه اسم «العلم» قام في اوربا نتيجة لروح جديدة في البحث وأساليب جديدة في الاستطلاع وطريقة جديدة في التجريب والاستقراء ، والقياس — هذه الروح وهذه الاساليب، مردُّها في اوربا الى العرب»

فالعرب حفظوا من الضياع ، خلاصة الحضارات القديمة التي اتصلوا بها وأضافوا اليها من مبتكرات عقولهم ثم نفحوا الحياة الاوربية الجديدة في مستهل عصر الاحياء بهذا التراث المجيد . ولذا كنا حين نقرأ العلوم الحديثة لا نجد كشفاً من الكشوف المخطيرة الاساسية يعزى الى العرب ، فيجب ألاّ ننسى ، أن العلم مدين للثقافة العربية . بأكثر من كشف خطير ، انهُ مدين لها بحياتهِ

وكذلك نستقيم لنا عناصر الشعة الكبيرة الواقعة على عواتقنا ، ونحن نختار هذه الرحلة ، من أزمة الحضارة الحديثة . ولا بد ان تنجلي الغبراء يوماً ما على وجه لا رب عندي فيه فالحرب الماثلة . ليست سوى حادثة — عظيمة ولكنها عابرة — في ثورة متعلقة الى

أصول الحياة نفسها ، في مخاض عالم جديد . والثورة إما ان تقاومها وإما ان تسلم بحقيقتها وتحاول جهدك ان توجهها نحو الهدف العالي الذي جعلته هدفك. انك لا تستطيع ان تتجاهلها

والمستقبل في هذا العالم الجديد ، لكيمياء اجتماعية جديدة ، عنصراها هما الديمقراطية والعلم. انهما قوتان رئيسيتان من قوى العمران . وهما أبداً متفاعلتان . فالعلم ونتاجه النظري وتطبيقه العملي يقيح للديمقراطية العناصر التي توسع من نطاقها ، وترسخ من أركانها ، وتعمم من نعمها . وهو يأبى القيد واما أن يهجر الأرض التي تثقلهُ فيها القيود ، وأما أن ينحي ويزحزح تحت عبئهِ . والديمقراطية تهيء للعلم التربة والجو اللذين يزكو فيهما غرسه ، وينضر ورقهُ ، وينضج ثمره . ومن مفاخر الحضارة التي نحن ورثتها في إبان ازدهارها قبل ألف سنة ، ان الخلفاء والأمراء كانوا يبيحون للعلماء والباحثين حرية كاملة بغير نظر الى مذهب أو عنصر. ولا عجب فالمسيحية والاسلام ، حثّا على العلم ووطدا للفضائل الديمقراطية وأساليبها. وهذا الاقتران هو سرُّ ما نعمت بهِ الحضارة العربية والحضارة العالمية ، من حياة

ولكن الأصول الديمقراطية القديمة يجب أن تبعث فيها حياة جديدة ، وأن تطبق تطبيقاً يكفل علاج الأدواء الاجتماعية والاقتصادية ، التي مرد معظمها الى ارتقاء العلم والصناعة وتكدس الثروة في أيدي فئة يسيرة من الناس . فالعلم الذي أسدى الى الحضارة أعظم الأيادي بتسهيل أسباب العيش على كثيرين من الناس ، أفضى الى غير قليل من التناوت والاثرة والتوزيع الجائر والنزعة المادية

واذا كانت السياسة في أثناء الحرب ، خادمة الخطة الحربية فإنها يجب ان تغدو بعد الحرب خادمة العلم . فيتعين عليها حينئذ ان تضمن ان ثمار العلم لا تضيع جزافاً ولا يساء استعمالها . وهذه القاعدة يجب ان تكون الناموس الاساسي ، الذي تقوم عليهِ الكيمياء الاجتماعية الجديدة . اذ لا يكفي ان نسعى ، وان يهرق الدم الزكي في سبيل تأييد حقوق الانسان السياسية ، بغير ان نقضي على الجوع والمرض والتعطل عن العمل جنباً الى جنب القضاء على السيف والاستبداد وسيلة لتسخير الناس . عندئذٍ نستطيع ان ننفخ معنى وحياة في ذلك الحق الانساني الأول الذي يشمل الحقوق جميعاً ، وهو « حق الحياة والحرية ونشدان السعادة » . فالواجب علينا اذا شئنا ان نرتفع الى مستوى الأماني والآمال ، التي كثيراً ما نعرب عنها ونطالب بتحقيقها ، هو ان نعمل حاضرنا لتأميننا نستلهمهُ ونستوحيه . ففيه جميع الأصول التي يجب ان يبنى عليها العالم الجديد . ثم علينا ان نعمل حاضرنا لمستقبلنا بترويض النفوس وإعداد العقول ، للمشاركة في هذا البناء ، وهذا ميدان للجهاد الأكبر يصغر بالقياس اليهِ كل جهد حربي . ومن يهمله ، يحقر ماضيهُ ويستخف بحاضره ويضيع مستقبلهُ

والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها، وبتأسيس العرب للمدارس[١] والمراصد والمستشفيات[٢] والمتاحف في العصر الذهبي للنهضة العربية

وفي الباب الثاني يُحكى لك كيف انتظمت الخزانات العربية فانتشرت ثم اندثرت، وكيف حرص العرب الاقدمون على تدوين آثارهم وأخبارهم، وكيف تسابقوا الى اقتناء المخطوطات وجمعها، وكيف تنافس الخطاطون والمجلدون في تجميل المصاحف وترقين الاسفار

وفي الباب الثالث تُعدد لك الخزانات الاسلامية العامة وتساق أخبارها، مع مواقعها المتباعدة في البلدان. وقد أحصاها المؤلف ووصفها واحدة واحدة، ونبّه الى كنوزها، وتعقب مواطنها في الشام والعراق وفلسطين وشرقي الاردن والحجاز واليمن، ثم في فارس والهند. وصعد بعد ذلك الى مصر ومنها انتقل الى المغرب، ومن هنا عبر الى الاندلس ثم استراح عند مخطوطات دار الكتب في تركية

والباب الرابع موقوف على الخزانات العربية الخاصة وقد أسسها أدباء المسلمين ومشايخهم وعلماؤهم في مختلف الاعصار. فنذكر المؤلف خزانات في بيروت وجبل لبنان وجبل عامل وروما وطرابلس وغيرها، ثم في المغرب وصحارى افريقية. ولم يجتزىء المؤلف بالاحصاء والوصف، بل عُني بسرد اخبار المؤسسين وقصص الخزانات نفسها، فبين كيف علا شأنها ثم انحط على ريب الدهر

والباب الخامس محبوس على خزانات يملكها النصارى من العرب والمستعربة في بلاد الشرق، كتلك مجموعات الفاطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط والسريان والارمن والبروتستانت. وهي موزعة بين القصور والاديار والمدارس والمنازل في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر والمغرب

وفي الباب السابع تبسط لك الخزانات العربية في أوربة مع مقدمة في عناية البابوات وملوك الافرنج بالمخطوطات العربية. وجميع هذه الخزانات دور كتب حكومية عامة. والى جنبها احدى عشرة خزانة أنشأها فريق من أهل سورية ولبنان في البلدان الاوربية التي رحلوا اليها فأقاموا بها. ومن هذه الخزانات خزانة رشيد الدحداح وخليل غانم في باريس،

---

(١) يجدر بنا أن ننبه القارىء الى مراجع وتتمم اليه: وهي: L. Haureceur et G. Wiet, "Les Mosquées du Caire" باريس ١٩٣٢ ص ١٠١ وما يليه — Asad — Talas "La Madrasa Nizamiyyat et son histoire, (Éd. Geuthner) باريس ١٩٣٩ — التربية عند العرب. مطبعة التجارية. القدس ١٩٢٧ ؟ خرج هذا الكتاب من عبرة ريحان

(٢) وقد اعتمد في المراجع: تاريخ البيمارستانات عند العرب، لاحمد عيسى. المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٣٩

وعبد الله مراش في مرسيلية ورزق الله حسون في لندن. هذا علاوة على الخزانات التي يملكها المستشرقون أنفسهم في بلادهم المختلفة. ثم أثبت المؤلف فهارس دور الكتب وأحصى عدد مخطوطاتها

والباب الثامن منصرف الى الخزانات في امريكة ولا سيما مدينة نيويورك

والباب التاسع ينتهي بك الى خزانات اليهود قديماً وحديثاً في العراق ومصر وفارس والأندلس. وتمهل المؤلف عند خزانة الجامعة العبرية لهذا الزمان ونوّه بقدرها وغناها

وبعد الفراغ من هذا الباب انثنى المؤلف الى اطراف بحثه فلمّ الغرائب ونثر النوادر:

في الباب العاشر والحادي عشر أورد أخبار هواة الكتب والغلاة في اقتنائها من المسلمين ثم النصارى من القرن الثاني للهجرة حتى الرابع عشر

وفي الباب الثاني عشر نظر في أحوال خزنة دور الكتب في البلدان العربية، فذكر فضلهم وهمتهم قديماً وحديثاً

وفي الباب الثالث عشر تطرق الى من تعهد من الشرقيين خزانات الكتب العربية الواقعة في اوربة وامريكة

وفي الباب الرابع عشر انتقل الى المخطوطات العربية، فتكلم عن الوراقة والوراقين،[1] وصناعة الخط والخطاطين، وفن النسخ والنساخين، حتى انتهى الى الطباعة فتبسط في نشأتها عندنا، وأشار الى بواكير أعمالها، ثم عرج على صناعة التجليد، وخرج منها الى ذكر أسواق الكتب في البلدان العربية فتحدث عن تجار الكتب ودلاّليها وسماسرتها، وانتهى به المطاف الى نوادر عشاق المخطوطات فذكر فيها ذكر غضب أحبار النصارى على سرّاق مخطوطاتهم، ثم ختم الباب بفصل لطيف موضوعه اعارة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء في ذلك

وفي الباب الخامس عشر عرض للمخطوطات العربية المصوّرة[2] وقدّم عليها ببحث في فن

---

(١) ومن الكتب التي يفيد منها المؤلف في صناعة الورق نشأتها وانتقالها الى اوربة على أيدي العرب André Blum, «Les Origines du Papier» (éd. Trianon) باريس ١٩٣٢ الفصل الثاني والثالث والرابع خاصة.

(٢) كانت أوفر لي يستعمل المؤلف «الكتب المزوقة» بدلا من «المصورة» لان التصوير عام، واما التزويق فأخص بالكتب. أنظر من ذلك ما جاء في «لسان العرب» ج ١٢ ص ١٦ فوق: «وزوقت الكلام والكتب اذا حسنته وقومته». ولا يبعد ان يكون التزويق للتحلية بالرسوم، من ذلك: «تزاويق السقوف» (المرجع نفسه). ومن ذلك أيضاً قولهم: «المزوق المزين به ثم كثر حتى سمي كل مزين بشيء مزوقاً» (المرجع نفسه ص ١٥). ويتصل بهذا ما جاء في «اساس البلاغة»: «زوقوا المسجد زينوه بالنقوش لان النقش يحمله في أصبغه». واكثر من كل ذلك هذه العبارة من «كلية ودمنة»: «وينبغي للناظر في كتابنا هذا ان لا يكون غايته التصفح لنزويقه» (طبعة صادر بيروت ١٨٩٦ ص ٧٦). ومعلوم ان كتب كلية ودمنة كان مزينة بصور الاشخاص والحوادث

من أساطير اليونان

فريني

Phryné

مسرحية في فصل واحد

بقلم خليل هنداوي

الأشخاص

بروكسينيل — نحات يوناني مشهور بناسيديكا — وصيفة فريني

فريني — محبوبة النحات القضاة — .....

سيبقى المعبد اليوناني أسمى معابد العالم لانهُ معبد الجمال الحي ...

« خ . ه »

أمن رخام بناء جسدك يا فريني ؟

« شاعر افرنسي »

المشهد الاول

(فريني وناسيديكا)

فريني — (تعدو عدواً الى مقبل العمر . في آخر) تناسق غريب طالما فتن الدهور في وجهة جمال يسمو ويرتفع)

(للوصيفة) ورودي وأزهاري!

ناسيديكا — سقيتها عند المساء

فريني — هاتي وروداً وانثري على بدني أزاهير

مناسيدكا — (حائرة) ولكن ...

فريني — عودي سريعاً ... (تمضي مناسيدكا) أنها لا تعلم ان هذه الورود والازهار وعما لن تعانق بدني في الغد . لقد أطال بروكسينيل علي غيبته

مناسيدكا — (تقبل بورود وأزهار) أقبل بروكسينيل

فريني — ليدخل وحده

بروكسينيل — جئت متأخراً ولكن عذري ...

فريني — استرح ! ! إني أرى على وجهك سحابة حائرة ، أين صرت من التمثال ؟

بروكسينيل — التمثال ؟ (ساخراً) انك لا تعلمين الى أين انتهى ؟

فريني — لعله جاء آية رائعة كما شئت أنت ؟

بروكسينيل — حطمته لانهُ لم يمثل ما أبدعت الطبيعة ، واذا مثل ما أبدعت فانه لم يتغلغل في خفاياها

فريني — أحطمت التمثال الذي اشتغلت به زمناً طويلاً ؟

بروكسينيل — انك معجزة خارقة في تكوينك ، وكلما ظننت انني انتهيت من الاحاطة بك رأيت وراء ذلك معاني خفية . لا أعلم كيف أنحت تمثالك ؟ أأنحتهُ عارياً أم لصق عارٍ ؟ لا أعلم في أية نقطة يستقرُّ جمالك ؟ ولكني أرى تناسقاً رائعاً متلاحماً

فريني — لقد زدتَ في تقويم جسدي ، لكنك أيها النحات العبقري أضعتني الى الأبد . اما الإلاهات التي سخرت منها فسوف تسخر مني لانها أحسنت الانتقام . لقد قلت عن ديانا وافروديت وڤينوس إنها أمثلة عليا في الجمال ، لكنها أمثلة غير رائعة

بروكسينيل — سأعود الى نحت تمثال لك قوي شامخ ، أحرق أيامي وليالي على قدميه حتى يأتي شعلة للتناسق في الجمال

فريني — لكن هذه الورود ستكون أطول مني عمراً

أرجئ عمل التمثال الى يوم يسكن فيه قلبك ، وتهدأ اعصابك

بروكسيتيل — ولكني في ذلك اليوم أموت .. يموت فني ، وتموت كل حياة فيَّ

فريني — ان موت الحب نفسه موضوع خالد

بروكسيتيل — ولكن اذكري ان حياتك غداً مهددة

فريني — سيكون موتي اذاً موضوعاً مخلداً عندك ؟

بروكسيتيل — ولِمَ لا تكون حياتك مخلدة ؟

فريني — في حياتي اشياء ، ولكن في الموت اشياء واشياء ، كم فنان لم يوهب الا عند ما فقد أعز شيء عنده ؟

بروكسيتيل — فريني ! فريني ! ما أسمى قلبك !

فريني — ارجوك ان تعود اليَّ بعد ان يهدأ قلبك ، انني متعبة أريد النوم

(يخرج سائراً واجماً)

مناسيديكا ! اتبعيه الى الباب (وحدها) أأحسنت العمل ؟ أحقاً لا يبدع الفنان شيئاً الا بقلبه . أراني جُرت عليه ؟ أليس التمثال الذي يصنعه صاحبه بدمه هو أخلد ما تصنع يداه !

مناسيديكا — (تعود) انهُ خرج يشرق بدمعه

فريني — عطش الحب لا يرويه الا الدموع ، ألم يقل لكِ متى يعود ؟

مناسيديكا — أظنُّ أنهُ مضى لغير عودة

فريني — هكذا تظنين . انني أجبهُ ولكني أشفقتُ عليهِ ألا يحتمل حبي ، لأن حب المرأة ثقيل يخنق الفنان . حب المرأة لا يبقي حيًّا ، وانما ينقلب في اكثر الاحيان شفقة والشفقة عدوة الفن . خشيت أن يحبني الليلة وغداً يفقدني . ان حياته اذ ذاك ستبقى جحيماً . يجب أن يبقى طائراً حرَّ الجناحين ، يحوم في جميع الارجاء دون أن تشده كل ساعة الى الأرض ذكريات

قولي له يا مناسيديكا بعد مصرعي : إنني كنت أحبه وانني قابلتُ خفوق قلبهِ بخفوق قلبي . ولكني لم أشأ ان أعذب ليالي حياتهِ من أجل ليلة

مناسيديكا — ولكن أليس في هذا الاقرار نفسه عذاب لقلبه ؟ ينبغي أن يعلم انهُ كان على ضلال في حبك

فريني — أعطيه العزاء الذي يلائم نفسه فان كان حبي يعذبه فاطويه عنهُ وقولي له : «أحبها كما تحب الشمس والقمر والأزهار»

مناسيديكا — ولكن لِمَ انتِ متشائمة ؟

فريني — ان خصومي يصرون على اني شتمت الآلهة . وكل يوم نان تعلم الحكم على متناول الآلهة بالشتم

مناسيديكا — أغداً تفقد الزهرة النضرة ؟

فريني — أزاهير كثيرة تفوح من بعدي

مناسيديكا — إنا نموت معاً ! لأن الحياة بعدك عذاب

فريني — ظلي لتذكري حياتي من بعدي

مناسيديكا — (باكية) ليطوني الليل قبل ان يطوي هذه الحياة

فريني — (كمن اعتراه شيء) أعدي جميع ثيابي وعقودي ، لأني احب ان استقبل الموت فرحة باسمة ولا تنسي عطوري وطيوبي . أترين انهُ سيعود مرة ثانية ؟

مناسيديكا — ربما ! قومي الآن واستريحي قليلاً

فريني — ليلتي هذه ليلة الحياة الخالقة . لِمَ لا تملئينها صخباً وحياة ! لِمَ لا تملئينها طرباً وطرباً ؟ وحبًّا وحبوراً ؟ اريقي على هذا الجسد كل ما يثير وقده ولا تدعيه الا جمرة . نادي الرفيقات وجيئي بالمزاهر والاعواد

ان — فريني — تريد الحياة ...

مناسيديكا — (مضطربة) وهل اعود الى دعوته الآن ؟

فريني — لا لا ! ان — بروكسينيل — هذه الليلة في أعلى قمة من فنه ... انهُ يصورني الليلة لأنه يريد ان يخلدني . انه الآن يذيب من نفسه ومن عينيه مع شعته وهي تذوب ليبدع وجهاً لي . انهُ لا يحب ان يراني الليلة لأنه لا يراني على حقيقتي . اذهبي ! ولتملأ هذه الليلة من بيتنا وحياتنا . اذهبي لتفرّ من انفسنا

المشهد الثاني

— مجلس القضاة —

قاض ١ — ادعوا هذه الكافرة (تدخل فريني) أرى وجهاً مقنعاً بنور غريب!

قاض ٢ — لاتقلُّ وجوه الكافرين ثوراً عن وجوه المؤمنين

قاض ١ — هل انت فريني ؟

فريني — بعينها

قاض ١ — انك متهمة بالتجديف على الآلهة . ما شأنك والآلهة ؟

فريني — ومن ذا لايجدف على آلهته كل يوم اذا اضطربت معدته ؟

قاض ٢ — آه ! جمال مقرون الى فلسفة ، فعهد الفلسفة عندنا مستقلة عن الجمال

قاض ١ — إن الزندقة تتكلم في عينيها

قاض ٢ — لو كان هوميروس حيًّا لجعلها من ساكنات الاولمب

قاض ٣ — الاولمب قمة مؤمنة

قاض ١ — ان الايمان ضروري في الحياة يا فريني ! وان حياة الآلهة ضرورة محتومة للحياة . ان القانون لسمح عندنا في كل شيء الا في ازدراء الآلهة . بالامس قضينا على عقل كبير لانه احتقر الآلهة . عقلنا فنا

فريني — واليوم تقضون على آخر

قاض ١ — ذلك ماسنراه (يدخل بروكيتيل فجأة)

بروكيتيل — اسمحوا لي بلحظة ايها القضاة قبل ان تديروا كأسكم القاتلة . فيم تقضون على هذا الجمال ؟ فيمَ تقتلون هذه الغانية ؟ ألأنها اهانت الآلهة ؟ أتزعمون ان عصر الآلهة قد انتهى ؟ أفيكم من يقول لي ان هذه التهمة ليست بإلاهة ؟ أفيكم من يقول ان هذه التهمة إلاهة ؟

القعناة — آه ! هذا هو المنطق المشؤوم...

بروكسيتيل — وما يدريكم ان — افروديت — تموج وراء هذا الصدر ؟ وان — فينوس — تشرف علينا من خلال هذا الجسد، وان — ديانا — تتراءى شفافة في ثوبها ؟

قاض ١ — هذا شيء فوق التحديف ! كنا نريد ان نقتل شخصاً ، والآن اصبحنا نقتل اثنين

بروكسيتيل — ان الأمة التي اعطت العالم افروديت وفينوس وديانا تكفر بجميع الآلهة لكنها لا تكفر بالجمال. اتظنون ان بلد الجمال يقنع بإرسال إلاهة واحدة للجمال ؟

قاض ٢ — انك تعدّ مسئولاً عن إغواء هذه الفتاة ايها الرجل! هذا تجديفك لا تجديفها ، قل لنا : ما تصنع ؟

بروكسيتيل — ناحت تماثيل للآلهة

قاض ١ — أعندك تمثال لهذه العادة

بروكسيتيل — عندي لها تماثيل

قاض ٢ — انت محبٌ لها ؟

بروكسيتيل — كنتُ أحبها لكنها لم تبادلني الحب

قاض ١ — أهذا اشتكاك منها ؟

قاض ٢ أباستطاعتك ان تُرينا بعض هذه التماثيل ؟

بروكسيتيل — وضعتها هنا . . . انتظروا قليلاً (يخرج)

قاض ١ — ما رأينا يوماً كهذا اليوم ! (يعود بروكسيتيل بتمثالين)

قاض ٣ — لكن هذا وجه افروديت

قاض ١ — والآخر بدن فينوس خارجة من البحر !

بروكسيتيل — (ضاحكاً) أتظنون أن « فريني » تقلّ جمالاً عن إلاهاتنا ؟ هذه تماثيل نقلتها حيّاً عنها . . . أما وجهها الحقيقي فلم أستطع بعد ان ادرك أسراره

قاض ١ — وما آيتك على أنك تقلتها حقاً ؟

بروكسيتيل — الآية بسيطة ... اطرحي هذه الأردية ، والقي هذا الغشاء . . .
(تطرح فريني ما عليها من ثياب عليا) كذلك ... ايضاً ... (حتى يصل الى الساقين) ومن ذا لا يرى فينوس ها هنا ؟

القضاة — نحن الذين جدفنا اليوم على الآلهة

قاض ١ — استغفروها لانفسكم !

قاض ٢ — عفواً أيتها الغادة فإنا لم نعرف منزلتك . . . افتحوا لها الأبواب

قاض ٣ — لكن طريقها معبّداً الى قمة الاولمب

فريني — أنقذتني وخلدتني يا بروكسيتيل ! (تخرج امام الجميع ويسدل الستار)

المشهد الثالث

بروكسيتيل — (وحده ، متكئاً على سنج تمثل لفريني على أسوار شمشين) (فريني تدخل دويداً رويداً)

ألم تصبح ايها الوجه وجه إلاهة ؟ قد كان لي فيك رجاء اذ كنتَ وجه امرأة ...
كنتُ أوسمك كامرأة ، ولكن لهيب النور كان يحرق عيني ، فلا استطيع ان أتبع فيك الحركة واللذة فمن انت ايها الوجه ؟

فريني — هذا وجهي يا بروكسيتيل ! ايها النحات الصغير !

بروكسيتيل — (يهب مذعوراً) أحقاً انتِ هنا ؟ ما جئتِ تعملين ؟

فريني — جئت اشكر لك انقاذك حياتي

بروكسيتيل — ولكني لا اعلم اني استحق شكراً

فريني — تعال يا بروكسيتيل نفرُّ الآن معاً ! لك هذا الجسد الذي بعثت صفاته

بروكسيتيل — لكني اصبحت لا استطيع ان افهم هذا النداء

فريني — انني احبك يا بروكسيتيل ! لا تلمني على تلك الليلة التي قطعتك فيها لانني خشيت ان اهلك وتبقى معذباً في حبي الى الابد

بروكسيتيل — لا أذكر شيئاً من تلك الليلة ، لا اذكر الا انك علمتني درساً جميلاً في الفن .. هو درس جميل قومت به روح فني لا حركة في الجسد لان الحركة تشوّش الجمال وتجمّد الخطوط ! الجمال موجة مسحوبة على نفسها بلا عاطفة ولا انتهاب

فريني — أشياء لا أفهمها ، في الفن ألغاز كثيرة ، أتصور مني هذا الظاهر الجامد الذي يعطيك من السحابة البيضاء وجهها ؟ تلمس هنا قليلاً (تشير الى قلبها) أتدري أية ثورة تثور ؟ وأية عاطفة تتوقد ؟

بروكسيتيل — أنت صادقة يا فريني . بالأمس كنت للجمال وحده ، وأما اليوم فأنت للحب ، الحب تسطر خطوطه بالدم ، أما خطوط الجمال فهادئة

فريني — خذني كما أنا

بروكسيتيل — دعيني لا أراك الا هالة من الجمال الذي تصورتهُ وقدستهُ ، فلا تحرقيني بدمك ، ولا تجعلي جسدك رماداً بين ذراعي . إن بي نهماً كثيراً اذا فتحت في . لأن في بيتي مفتوحاً من بدء الحياة حتى زوالها دون ان يرتوي ويشبع . اعتقدت أنك إلاهة فيجب ألا تبدل اعتقادي

فريني — أسفاه . أصبحت الاهة الجمال ! ولكن أليس الحب والجمال مقترنين يا بروكسيتيل؟

بروكسيتيل — انهما شيء واحد

فريني — وأنا هنا — لا الحب ولا الجمال — أنا شيء واحد (معانقة)

بروكسيتيل — أغمضي عينيك فاني أبصر وراءهما الهاوية

فريني — فيهما الشعاع الذي يناديك

بروكسيتيل — أطعميني من ثمارك ، ولكن أتركيني دائماً جائعاً

هناسيديكا — (تدخل هناسيديكا فتراهما متعانقين) (ضاحكة) المائدة تنتظر . . .

(يخرجون ضاحكين)

يرخى الستار

رأي في اللغة الفصحى وتعليمها

دراسة اللغة العربية

الفصحى في مدارسنا المصرية

لعبد الله امين

تحاول المدرسة المصرية منذ نشأتها للآن ، أن تستقيل عثرات اللغة العربية الفصحى وتنهض بها من كبوتها وتنفض عنها غبار العصر التركي الذي لبث في مصر (٥٤٠) أربعين وخمسمائة سنة وتجعلها لغة التخاطب والخطابة والكتابة لأمور كثيرة منها

١ — أن اللغة العربية الفصحى خير اللغات السامية سواء أكانت أمهن أم اختهن ومن خير اللغات الحيّة الراقية الحديثة ان لم تكن ارقاهن بما شرفت به من ثروة في الالفاظ وجمال في الأسلوب وضوابط قلّما تختل وقلما يكون لها نظير في لغة اخرى

٢ — وان هذه اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وهما اصل الدين الاسلامي وهو اعظم كنوز ثروتنا الخلقية والثقافية والأدبية ومن اعظم الروابط الاجتماعية للشعوب العربية الاسلامية وفي الاحتفاظ بها احتفاظ بهذا الدين الحنيف وبهذه الرابطة المتينة

٣ — وان هذه اللغة هي لغة الكتّاب لدى الشعوب العربية الاسلامية واللغة كالدين من اعظم الروابط الاجتماعية وفي الاحتفاظ بها وردّ لغات هذه الشعوب العامية اليها احتفاظ بوحدة هذه الشعوب

٤ — وإننا اذا شئنا أن نجعل لغتنا العامية لغة كتابة ذات ضوابط محرّرة باصلاح مفرداتها وأساليبها لم نجد خيراً من أن نردها الى أصلها وهو العربية الفصحى بل هي حين تحرّر وتهذّب تصير من تلقاء نفسها العربية الفصحى

هذه بعض البواعث على محاولة احياء اللغة العربية الفصحى غير أن المدرسة المصرية كأنها بهذه المحاولة تحاول أمراً مستحيلاً فلا تبلغ ما تريد بهذه المحاولة وذلك لأمور منها :

١ — ان تعليم أبنائنا الاحداث في مدارس المرحلة الأولى كالابتدائية لغة أجنبية وتعليمهم في المرحلة الثانية لغتين اجنبيتين يكاد يقضي على تعليم اللغة العربية فيهما فلا بد من

اجتناب تعليمهم لغة اجنبية واحدة في المرحلة الاولى والاقتصار على تعليمهم لغة اجنبية واحدة في المرحلة الثانية

٢ — أنّ اللغات الأعجمية تحتل المكان الأرفع في التخاطب والكتابة في المتاجر والمصارف والشركات والأندية الأجنبية التي ينشاها ويعاملها المصريون بل وفي بعض منازلنا وبعض دواوين حكومتنا

٣ — انّ اللغة العامية تطغى في ميدان التخاطب على اللغة الفصحى في منازلنا وأسواقنا ومجتمعاتنا وفي مراكز أعمالنا وأنديتنا بل وفي مدارسنا وفي دروس اللغة العربية نفسها وفي مجالس علمائنا وأدبائنا

٤ — ان اللغة العامية تطغى في ميدان الكتابة على اللغة الفصحى في مواطن كثيرة منها المتاجر والمصانع والشركات المصرية وفي كثير من دواوين الحكومة وفي الصحف الأسبوعية كما تطغى في ميدان الالقاء في كثير من المسارح على الفصحى

وذلك لجهل الكتاب في هذه الدوائر الأهلية والحكومية اللغة الفصحى ولأن بعض كتاب الصحف الاسبوعية والقصص التمثيلية وغير التمثيلية الذين يجنحون الى اختيار بعض الألفاظ العامية بدل نظائرها العربية يزعمون انّ المعنى لا يتضح ولا يبلغ المراد من نفوس الجمهور إلاّ إذا أديَ باللفظ العامي فاذا كان ذلك حقًّا فان من الحق كذلك بل الحق الذي لا شك فيه أن التزام الألفاظ العربية الصحيحة وتكرارها كفيل بفهم العامة وحفظهم إياها كما يفهمون ويحفظون الألفاظ الأعجمية التي انسلت الى لغتنا العامية من اللغات الأجنبية على أنهم إن لم يفهموا الفصيح الاّ نصف فهم لا يكون ذلك ثمناً غالياً لاحياء الفصحى التي لا تلبث أن تحلّ في مدارك الجمهور وقنوعه محلّ العامية وتبلغ منها مبلغها

فاذا كان تصحيح لغة الكتابة في دوائر الأعمال الأهلية وبعض الحكومية عسيراً بعض العسر فان تصحيح لغة الصحف والمسارح من أيسر الامور وهي انما أنشئت للتثقيف والتهذيب كالمدارس واللغة من خير ادوات التثقيف والتهذيب

فلا ينبغي لنا ان نتركها تهدم ما تبنيه المدرسة وتأتي على بنيانه من القواعد

لا يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

٥ — شيوع الامية وتغلغلها في البلاد من أكبر العوائق في سبيل إحياء اللغة الفصحى. فالقراءة والكتابة من أعظم الوسائل وأشدها تأثيراً في رواج اللغة الفصحى وتيسير التخاطب والخطابة والكتابة بها

٦ — ضعف الروح القوميّ لضعف الامة الحسي والمعنوي الذي جعلها تستهين بكل وطني وإن عظم وتستعظم كل اجنبيّ وإن هانَ فلا يزال في الخاصة ويقلدهم العامة من يفضل اللفظ الاعجميّ على العربي وإنْ بدَّ العربي العجمي حلاوة وجمالاً وحسن دلالة لا لشيء إلاّ لان ذاك أعجميّ وهذا عربيّ وكني فأبيها أخفّ وأحلى Grand father اوجد و Uncle أو عمّ او خال والعربي نصّ والفرنجي اعم

٧ — اعتقاد طلاب اللغة العربية الفصحى انهم في غنىً عنها في حياتهم العملية — وهذا الاعتقاد وحده كافٍ كل الكفاية لحملهم على الاستخفاف بها وبدراستها والانصراف عنها وفي هذا او ذاك قضاء على الجهود التي تبذلها المدرسة لاحياء هذه اللغة الشريفة

٨ — وزيد الطين بلة الخطط العامة التي تُسخط لدراسة هذه اللغة في المدارس . وهذه الخطط هي جرثومة الداء هي شر البلية

***

إن دراسة اللغة العربية تقوم في مدارسنا الحديثة منذ نشأتها من عهد باعث النهضة الحديثة محمد علي باشا للآن على عماد واحد هو دراسة علوم اللغة من صرف ونحو ومعان وبيان وبديع وعروض وقافية

واذا كنا نعلم ان الغاية المقصودة من دراسة اللغة العربية هي صون اللسان عن الخطإ في القراءة والتخاطب والخطابة وصون القلم عن الخطإ في الكتابة فقد اتممنا الغاية فضممنا الى مناهج الدراسة المطالعة والانشاء وأخيراً وفي بعض الاحيان المحادثة وفن الالقاء وأما الوسيلة وهي دراسة اللغة مفرداتها وأدبها من نثر وشعر دراسة مقصودة لذاتها بما تستحق من العناية فقد بقيت منسية الاّ في الأيام الاخيرة اذ وضعنا في مناهج متن اللغة والنصوص الأدبية ولكن بقي المقام الأول لدراسة علوم العربية وهي الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع وما اليها كالعروض والقافية في التعليم الخاص

وهذه العلوم ليست هي اللغة العربية وانما هي فلسفة اللغة العربية التي تعرف بها اسرار اللغة ووجوه الحسن والجمال فيها . وما كانت هذه العلوم لتطبع الألسنة والاقلام بطابع اللغة الفصحى وليس فيمن أخذنا عنهم هذه اللغة الشريفة من بلغاء العرب وفصحائهم خطباؤهم وشعراؤهم من عرف شيئاً من هذه العلوم لا في الجاهلية ولا في صدر الاسلام . وقد يكون بعد ذلك في المتعربين في كل عصر من العصور التالية من الأدباء الذين درسوا شيئاً من هذه العلوم من أوتي مع هذه الدراسة ملكة الشعر والخطابة او الكتابة باللغة الفصحى فان كان

ذلك كذلك في أوقن ان ذلك لم يكن لدراستهم هذه العلوم وانما كان لدراستهم شيئاً آخر هو موضوع هذه العلوم هو اللغة نفسها على نحو ما سأبينه في هذا المقال

وان كبار الخطباء والشعراء والكتاب المعاصرين لم يكونوا كذلك لأنهم درسوا هذه العلوم وانما كانوا كذلك لشيء آخر هو دراسة اللغة نفسها . فما كان شوقي وحافظ من كبار الشعراء ولا كان الويلحي والمنفلوطي من كبار الكتاب ولا كان سعد ومصطفى كامل من كبار الخطباء لأنهم درسوا فلسفة اللغة العربية وهي الصرف والنحو والمعاني والبيان وما اليها وانما كانوا كذلك لأن الشعراء منهم عكفوا على دواوين الشعر يدرسونها ويتذوقون ما فيها من جمال ويحفظون منها آلاف الأبيات ويحاكونها ولأن الخطباء والكتاب منهم عكفوا على جيد المنثور القديم والحديث وقتلوه درساً وحفظاً ومحاكاة

فلا ينبغي لنا بأية حال من الاحوال ان نعلم ابناءنا فلسفة اللغة قبل ان نعلمهم اللغة نفسها وهي موضوع هذه الفلسفة تعليماً وافياً بالغرض كما لا ينبغي لدارس علوم الطب ان يدرس شيئاً منها قبل ان يدرس موضوعها وهو جسم الانسان نفسه دراسة وافية فان فعلنا ذلك فقد حبط عملنا وكنا « كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه »

***

وقد فعلنا ونحن — رجال اللغة العربية — الملومون دون غيرنا لأننا نحن الذين نضع مناهج اللغة العربية لجميع المدارس ونلزم أبناءنا في جميع مراحل التعليم حتى الابتدائية منها ان يدرسوا فلسفة اللغة ، اما اللغة نفسها وهي موضوع هذه الفلسفة فلا نصيب لها من عنايتنا الا قبل دراسة الفلسفة ولا بعدها الا في الأيام الأخيرة حين علمنا خطأنا إذ اخذنا نضع في المناهج مع كثير من التردد والاحجام طوائف من ألفاظ اللغة تحت عنوان « متن اللغة » وطوائف من أدبها تحت عنوان « نصوص ومحفوظات » ولم يكن لهذا وذاك وهو اللغة نفسها وهو الجدير بالدراسة وهو الذي يطبع الألسنة والأقلام دون غيره بطابع اللغة الفصحى ، ما يستحقه من عناية الواضعين والمتعلمين والمعلمين

ولعل السبب في انصرافنا عن دراسة اللغة العربية نفسها الى دراسة فلسفتها هو ظننا أن اللغة العامية هي اللغة العربية محرفة بعض التحريف ، وانناما دمنا نعرف اللغة العربية ولو محرفة بعض التحريف نستطيع أن نصححها ونحييها بدراسة فلسفتها وهي علوم الصرف والنحو والبلاغة وذلك فن غير صحيح لأنه ان كان بين اللغتين تقارب من وجه فان بينهما تباعداً من وجوه لا يرأب صدعه دراسة هذه الفلسفة

فان نحو ثمانين في المائة من الكلمات العامية كلمات عربية ولكنّ اكثر هذه الكلمات محرّف ولا ينفع في إصلاحه وردّه الى الصواب علم من هذه العلوم التي اعتمدنا عليها في إحياء اللغة العربية الفصحى وانما ينفع في احيائها شيء واحد لا أقل ولا اكثر هو موازنة بين هذه الالفاظ العاميّة المصحفة وبين اصولها الصحيحة من اللغة الفصحى وتكليف التلاميذ حفظ الصواب والنطق به وهجر المحرّف وتدريبهم على ذلك ومراقبتهم مراقبة دقيقة لالزامهم التزامه

وإن أساليب اللغة العامية هي أساليب اللغة الفصحى مع كثير من اللحن والتحريف . فأما اللحن فكتصيب الخبر في قولنا « دول ظالمين » و « إحنا آمنين » مثلاً فهو بلا نزاع موضوع علم النحو وحده . أما بقية علوم اللغة فلا مجال لها في تصحيح هذا اللحن . ومع هذا فان دراسة علم النحو وحدها لا تكفي لتصحيح هذا اللحن ما لم يصحبها التدريب الكافي بقراءة الكتب الصحيحة والمشكولة شكلاً كاملاً وبالكلام الصحيح الا كما تغني دراسة فن الموسيقى من غير تدريب على آلة من آلاتها . وان نحن دربنا التلاميذ على النطق الصحيح لأمثال هذه الاغلاط استغنينا عن دراسة علم النحو . واما التحريف في الاساليب او في اركانها فكتحريف هؤلاء حتى صارت «دول» وكتحريف نحن حتى صارت « إحنا » وكتحريف قاعدين حتى صارت «آعدين» وكادخال حرف الجر على الفعل المضارع نحو بشرب وبكتب وكالحاق الشين بأواخر الأفعال او الحروف نحو ما كتبتش وما ألمسش ومش عارف فلا مجال لعلم النحو ولا لغيره من علوم العربية المذكورة في تصحيحه وانما الذي ينفع فيه الموازنة بين العامي والفصيح والاكثار من دراسة الأدب شعره ونثره وقراءة الفصيح من الكلام ومحاكاته في التخاطب وتدريب التلاميذ على ذلك وأخذهم به بيقظة وحزم وبلا هوادة

ويبقى بعد ذلك الأدب العامي والأدب العربي من نثر وشعر ففي اللغة العامية حكم وأمثال ذوات معان شريفة ولكن يعوزها الاسلوب الفصيح ، وفيها امثال وحكم سخيفة المعنى واللفظ والاسلوب . اما الشعر العامي الذي تصاغ به الأغاني والاناشيد العامية وغيرها فليس له اوزان معينة ولا قواعد مضبوطة ويقابلها في اللغة الفصحى امثال وحكم نثرية وشعرية وقطع أدبية شعرية ونثرية بلغت الذروة والغارب في شرف المعاني وسمو الاساليب والبلاغة وهنا تنعدم المسافة والخلاف بين اللغتين او اللهجتين لكن الفصحى مع سمو معانيها وبلاغة اساليبها يمكن العامة ادراكها فان كان في ذلك شك فلا شك في ان صياغة الامثال والحكم والاغاني العامية في اساليب فصيحة تلائم مداركهم تسهل عليهم ادراكها ويزيد الامر سهولة نحو الامية واشاعة القراءة والكتابة

(للمقتطف بقية)

المغنيزيوم في البحر

٢٣ مليون طن من أملاحه
في ميل مكعب من ماء البحر

لعلَّ أقدم الصناعات الكيميائية هي صناعة استخراج الملح العادي من ماء البحر . ولكن العلماء في العصر الحديث بدأوا يوجهون عنايتهم الى ماء البحر لا لاستخراج مقادير من الملح أوفر من المقادير التي كان الناس يستخرجونها في العصور القديمة ، بل لأن البحث هداهم الى ان هذا الماء يحتوي على مقادير كبيرة من معادن شتى قيمة في مقدمتها معدن المغنيزيوم وهو فلزّ خفيف الوزن غدا له شأن أي شأن في الصناعات الحربية

ان ميلاً مكعباً من ماء البحر يزن أربعة آلاف وخمسمائة مليون من الأطنان ويحتوي على أملاح ذائبة فيه تقدّر بنحو ٣½ في المائة أي ان وزن هذه الأملاح يبلغ ١٥٥ مليوناً من الأطنان ، منها ملح الطعام والأملاح التي تشبهه وهذه وزنها ١١٧ مليوناً من الأطنان أما أملاح المغنيزيوم فتبلغ نحو ٢٣ مليوناً من الاطنان يستخرج منها مليون ونصف مليون طن من فلز المغنيزيوم . وأملاح الكلسيوم نحو ستة ملايين من الاطنان

وعندما نستعمل ماء المحيط مصدراً للمعادن يتعين علينا ان نستخرج هذه الاملاح من مقادير عظيمة من الماء . وليس هذا بالعمل السهل . وقد عنيت إحدى الشركات من عهد غير بعيد باستخراج البروميين من ماء البحر فأنشأت مضخة يُدفع الماء فيها دفعاً في سلسلة من المراجل الكبيرة والأبراج العالية ، وفي أثناء ذلك يدفع في الماء غاز خاص فيتحد بالبروميين ثم يرسب المركّب وينزع من الماء ، ويرد الماء بعد ذلك الى البحر . أما استخراج المقدرات الهائلة أملاحاً في ماء البحر ، فيقتضي ان تكون طريقته أقلّ نفقة وعناءً من طريقة استخراج البروميين . ولذلك يستعان بما فعلته الطبيعة في بعض الانحاء كالبحيرة الملحة في ولاية يوتاه الاميركية . فالبحر العظيم من سطح البحيرة على مرّ العصور ترك طبقات كثيفة من الاملاح راسبة في القعر وعلى الجنبات وجعل نسبة الاملاح الذائبة في مائها عالية . ومياه البحر الميت من هذا القبيل

وشركة دَوْ Dow الاميركية هي أكبر شركة تستخرج المغنيزيوم من مواطنه وتصنع منه

الاخلاط . وهي تعتمد على استخراج أملاح هذا الفلز على ماء أجاج في بحيرة واقعة تحت أرض ولاية مشيغان

واذا اردنا استخراج املاح المغنيزيوم من ماء البحر، وجب نبذ جميع الاملاح الاخرى. وسبيل ذلك الاعتماد على الخواص الطبيعية التي تتصف بها شتى الاملاح . فاملاح الصوديوم تتبلور قبل غيرها من الاملاح في ماء البحر . فاذا استخرجت أملاح الصوديوم بقي المحلول محتوياً على أملاح المغنيزيوم والكلسيوم . فيكرّر عمل البلورة فيستخرج ملح المغنيزيوم وهو كلوريد المغنيزيوم على الاكثر ويصهر هذا الملح ثم يخترقهُ تيار كهربيٌّ يحلّهُ الى عنصريه أي للمغنيزيوم والكلور فيؤخذ الكلور ويستعمل في سيل شتى ويرتفع المغنيزيوم الى السطح فيؤخذ كذلك ويستعمل في صناعات الحرب . وفي مقدمتها القنابل المحرقة فهو عنصر أساسي فيها . ويدخل كذلك في المشاعل التي تلقيها الطائرات المغيرة فوق منطقة الهدف فيتبين الرجال اهدافهم

ومردُّ فائدة المغنيزيوم الى خفة وزنه على الاكثر فقدم مكعبة منه لا يزيد وزنها على تسعة وثمانين رطلاً وقدمٌ مكعبة من الالومنيوم تزن ١٦٠ رطلاً وقدم مكعبة من الصلب تزن ٤٨٩ رطلاً والمغنيزيوم لا يجاري الالومنيوم في متانته ولكنهُ لا يستعمل صرفاً بل تصنع منهُ اخلاط ومن اشهر اخلاطه خليط يدعى « مغناليوم » وهو خليط من المغنيزيوم والالومنيوم ، ولكنهُ اخف من الالومنيوم فوزن قدم مكعبة منه لا يزيد على ١٢٠ رطلاً ، وتفوق خواصه خواص العنصرين الداخلين في تركيبه . وثلث ما يستعمل من المغنيزيوم في الولايات المتحدة يستعمل مخلوطاً بالالومنيوم على الاكثر ويدخل في صنع محركات الطائرات واجزاء اخرى منها

وقد قدّر الدكتور هرنفنُّن العالم الاميركي التوفر على دراسة الفلزات وخواصها ومزاتها في الصناعة الحديثة ان مقدار املاح المغنيزيوم في ميل مكعب من ماء البحر يكفي لاستخراج مليون ونصف مليون طن من الفلز وهذا المقدار يكفي لتجهيز مصانع الولايات المتحدة بنحو ٩٠ مليون رطل من المغنيزيوم كلَّ سنة مدى قرن كامل !

***

ان عنصر المغنيزيوم من أخف العناصر وليس بين العناصر الفلزية سوى عنصرين أخف منهُ وهما البريليوم والليثيوم

فثقله النوعي ١٫٧٤ أما الالومنيوم فثقله النوعي ٢٫٥٦ والحديد الصلب ثقله النوعي ٧٫٢١ والصلب ثقله النوعي ٧٫٨١ . فاذا خلط المغنيزيوم بمقادير يسيرة متفاوتة من الالومنيوم او النحاس او الزنك او السليكون او الكدميوم او الفضة أصبح الخليط فلزاً متيناً يسهل لَيّه وسحبه فيصلح للاستعمال استعمالاً واسع النطاق في صناعة السيارات

والطائرات وغيرها . ومتوسط الثقل النوعي للاخلاط التي تصنع منه ١٫٨٠ فهو على العموم ٢١ في المائة من الثقل النوعي للصلب و ٢٥ في المائة من الثقل النوعي للحديد و٦٣ في المائة من الثقل النوعي للالومنيوم. ومقدار المغنيزيوم في هذه الاخلاط يبلغ ٩٠ في المائة وزناً على المعدّل

ولا يخفى ان « ملح ابسوم » المشهور باسم الملح الانكليزي وهو مسهل مشهور هو أحد مركبات المغنيزيوم (كبريتات المغنيزيوم) وقد استخرده اولاً الباحث جرو Grew سنة ١٦٩٥ وظل الناس والباحثون يخلطون بين المغنيزيا (اكسيد المغنيزيوم وهو مليّن خفيف) والجير حتى سنة ١٧٥٥ عند ما أثبت بلاك Black ان الركبين مادتان تختلف احداهما عن الأخرى كل الاختلاف

ولم ينز العلماء بالحصول على فلز المغنيزيوم النقي الاّ في سنة ١٨٣٠ عند ما تمكن بسي Busay من تحضيره

أما وجوه استعمال الاخلاط المصنوعة من المغنيزيوم وبعض العناصر الاخرى فكثيرة . فمن سنوات كان العلماء معنيين بالارتفاع بالبلونات الى الطبقة الضرورية من الجوّ Stratosphere وذلك على أثر التجارب التي جرّبها العالم بيكار البلجيكي . واعدّت في الولايات المتحدة بلونات كبيرة لهذا الغرض . وصنعت الكرّات الكبيرة التي تعلّق بالبلون من احد اخلاط المغنيزيوم . وامتحنت امتحانات دقيقة قبل ربطها باسفل البلون ؛ واستعملها مأوى للطيارين وادواتهم العلمية . وتستعمل هذه الاخلاط في صنع بعض أجزاء الطائرات والسيارات فيوفر نحو ربع وزنها الى ثلثه بالقياس اليه لو صنعت من فلزات او اخلاط فلزية أخرى . فالعلب الفلزية التي توضع فيها الأجهزة الدقيقة اللازمة في الطائرات تصنع الآن على العموم من اخلاط المغنيزيوم . وفي احد محركات الطائرات ، يستعمل نحو ٥٠ رطلاً من خليط مغنيزيوم في كل محرّك . ومن عهد قريب عمدت شركات سيارات النقل الكبيرة (اوتوبس) في الولايات المتحدة الى صنع اجسام السيارات وهياكل المقاعد والنوافذ والابواب من خليط المغنيزيوم فوفرت طناً كاملاً في وزن كل سيارة بغير ان تحذف شيئاً من أدواتها وأجهزتها . وفي الوسع استعماله في قطارات سكك الحديد وسيارات نقل البضائع (لوري) فيزيد مقدار ما تحمله هذه المركبات وقتاً لنقص في وزن أجسامها

والواقع ان وجوه استعماله لا تحصى كأغطية محركات السيارات وأجزاء معدني الوقود (الكاربوريتر) وأجهزة الدهان التي يحملها الدهانون ؛ ومقابض أجهزة التنظيف بعمل الفراغ (Vacuum cleaners) ومصحات الزيت ومحملات الطائرات وبعض أجزاء المطابع ومستودعات النفط وأثاث البيوت ومقابض الابواب وما أشبه

الاسلوب الاقتصادي

في الحرب الحاضرة

لفؤاد محمد شبل

١ — منزلة الاقتصاد في الحروب

يتسم العصر الحاضر بما أصبح للعامل الاقتصادي من منزلة وشأن في سير الحرب . وليس أدل على ذلك من المقابلة بين فعل الحصار البحري الذي فرضتهُ انكلترا على أوربا طوال الحروب النبليونية ، وفعلهِ في الحرب العظمى الماضية . فلم يكن للحصار في الحرب الأولى تأثير حاسم في سير الحرب كتأثيرهِ في المانيا في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ ، إذ كان أحد العوامل التي أفضت الى انهيار قوتها الحربية . ويرجع ذلك الى ان معدات القتال الفنية كانت في العصر النبوليوني ضئيلة الكمّ والنوع اذا ما قوبلت بما هي عليه في عصرنا هذا ، فكان مقدار المواد الاولية الحيوية للاغراض الحربية يسيراً جداً يسهل تدبيره عملياً ، كما ان مشكلة الطعام لم تبلغ المنزلة التي تتجلى في الحروب الحاضرة . فرغماً عن اتجاه بريطانيا الصناعي في عصر نبليون كان في استطاعتها اطعام الجانب الأكبر من سكانها من الموارد الخاصة بجزيرتها

وتغيرت الحال في الحرب العظمى الماضية ، فغدت المعدات الحربية أعظم كلفة وأكثر تنوعاً ، ومن ثمَّ زادت مقادير المواد المستوردة لصنع معدات القتال وتجلى ما للنفط (البترول) من شأن كمادة اولية هامة مع ان الحرب الميكانيكية كانت في طفولتها . على ان أهم ما تطلع اليه المتحاربون في تلك الحرب هو التزود بالطعام وحرمان الخصوم اياه ولم تكن المانيا ولا انكلترا تستطيع كفاية شعبها من الطعام من مواردها الخاصة . ولذلك كان للحصار البحري البريطاني المفروض على المانيا أثره الحاسم في سير الحرب ونتيجتها

وعظم شأن الآلات الميكانيكية في حربنا الحاضرة واشتدت شوكة السلاح الجوي اشتداداً لم يك في الحسبان ، وأصبحت مطالب القوات المحاربة أعظم قدراً وأوسع شمولاً مما كانت عليه . ومن ثم أصبح الفريقان المتحاربان في عام ١٩٣٩ أعجز عن تحقيق الاستكفاء من المواد الاولية اللازمة لمواصلة الحرب عما كانت الحال عليه قبل خمسة وعشرين عاماً . وأصبحا أدق احساساً بالعامل الاقتصادي وأبلغ ادراكاً لخطر شأنهِ وغدت مسألة الاستيراد في مقدمة

المسائل التي تشغل بال القادة والمشرفين على توجيه الأمم في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ البشرية. ويعلو على هذا كله مسألة النفط (البترول). ولو عاش الامير اوجين دي ساڤوى الذي يؤثر عنه قوله ان الحرب تتطلب المال والمال ثم المال لعدل عن رأيه وقرر ان مستلزماتها البترول والبترول ثم مزيد من البترول.

والى السلاح الاقتصادي يمكننا ان نضم السلاح المالي الذي طبق تطبيقاً موفقاً خلال حرب ١٩١٤ — ١٩١٨. ويضاف الى هذا وذاك سلاح لم يعرف أيام الحروب النابوليونية ولم يستخدم على نطاق ذي شأن في الحرب العظمى الماضية ألا وهو تدمير وسائل الانتاج الحربي وتعطيل طرق المواصلات وإضعاف التموين بفعل الاغارات الجوية

ويجب أن لا يغرب عن الاذهان مكانة الدفاع الاقتصادي وغايته تأمين الموارد الاقتصادية وقت الحرب اذ ان المحارب يشتد تأمين وارداته وتلافي الحصار المضروب عليه من خصمه. فألمانيا، تسعى الى اختراق الحصار البريطاني والتحايل ما وسعتها الحيلة على إصدار بضائعها واستيراد ما تحتاج اليه. وتتمثل الناحية الدفاعية البريطانية في الحد من الهجوم الاقتصادي الالماني على بريطانيا وذلك بخفض خسارتها من السفن التجارية كحماية هذه السفن بنظام القوافل وغيره من الوسائل. ثم ان الناحية الاقتصادية الدفاعية تقتضي من الفريقين المحافظة على مواطن الانتاج من الاغارات الجوية والحرص على مرافق التموين والمواصلات. والى جانب هذا كله يبذل الجهد للمحافظة على مستوى عال للصادرات والواردات والحيلولة دون نزوح رؤوس الاموال. ومن الاجراءات التي تعدُّ دفاعية في الحرب الاقتصادية سعي البلد المحارب لإكتفاء نفسه من المواد الاولية الحيوية؛ واتخاذ الوسائل لتجنب التبذير واستخدام الموارد المتوفرة في البلاد الى أقصى حد وتنظيم الانتاج والتوزيع والاستهلاك على نسق يضمن أقصى زيادة في الانتاج أو توفير ما يمكن توفيره من المواد الحيوية والقدرة على الانتاج والعمل

٢ — الحصار البحري البريطاني

في عام ١٩٣٩ كان السواد الأعظم من الرأي السائد في الدوائر البريطانية، محاولة قهر ألمانيا عن طريق الحصار البحري بصفة أصلية وكان الاعتقاد السائد حينئذٍ أنهُ بفضل خط ماجينو يمكن صد الجيوش الالمانية بغير ما صعوبة رغماً عن تفوقها في العُدد والعَدد. وانهُ من الخير للبلد العامل البريطانية ان تستخدم في الغرض المشترك بتخصيصها لانتاج المعدات. بيد ان سيرَ القتال برهن على ان المزية للهاجم لا المدافع في الحرب اذ كسرت الجيوش الفرنسية البريطانية خلال معركة فرنسا وتحطم خط ماجينو بالالتفاف به

هنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي: لو صمد خط ماجينو لهم بالتفاف الالمانية

المتحدة وروسيا أقوى مفعولاً وأشد أثراً فلم تعد ثمة أسباب تسوغ محاباة ايطاليا وغيرها من الدول المحايدة . واستحال على المانيا استخدام سكة حديد سيبيريا، كما ان دخول الولايات المتحدة الحرب قطع علاقات المانيا التجارية بدول اميركا الجنوبية

٣ — سياسة تمويل المؤن

عقب ضم النمسا لالمانيا أيقنت انكلترا وفرنسا ان المانيا قد نجحت في ان تحقق لنفسها حصة كبيرة من تجارة جنوب اوربا الشرقي ، ومما نشأ عن هذا التدخل الاقتصادي البعيد المدى اقامة السيطرة السياسية الالمانية على دول الدانوب والبلقان . فأخذ الحلفاء في خصوص صيف ١٩٣٨ عبداً صد تدخل المانيا السلمي عن هذه البلاد . بيد ان المسؤولين في البلدين نظروا الى الموضوع نظرة تجارية محض خال هذا دون اقدامهم على شراء منتجات هذه الدول على نطاق واسع وكان عليهما قبول تضحيات مالية تحقيقاً لمنع المانيا من احتكار تجارة جنوب اوربا الشرقي . وكانت بريطانيا العظمى تفوق المانيا من الناحية التجارية اذ كان في مكنتها ان تقدم لهذه الدول نقداً استرلينيًّا حرًّا، الا انهُ كان يعترض توسعها في ما تشتريه منها عاملان: الاول خشية هذه الدول (دول البلقان والدانوب) اغضاب المانيا اذا زادت صادراتها الى بريطانيا، والثاني صعوبة المواصلات التي تنحصر في حالة دول البلطيق الواقع تحت السيطرة الالمانية

ومهما يكن من امر ، فكان من اليسير وصول جانب من بضائع دول البلقان وشرق اوربا بل والبلطيق نفسه (عن طريق السويد والنروج) ولا سيما البترول والتمح الرومانيين لولا قلة المبالغ التي اعتمدتها وزارة المالية البريطانية لهذا الغرض، رغماً عن قوة الدهنه السياسة اذ تتيح لها على الاقل رفع اسعار ما تشتريه المانيا عن هذه الدول فضلاً عن تحويلها عنها

وفي سبيل تجاوز العقبات التي وضعتها المصالح الحكومية، أنشأت الحكومة البريطانية لجنة خاصة بالمشتريات The United Kingdom Commercial Corporation مهمتها الاشراف على تنفيذ سياسة الشراء . وكانت وزارة المالية المسام الفرد في هذه الشركة وقد بلغ رأسمالها الاصلي نصف مليون جنيه استرليني وكان عملها تسهيل الاتجار مع بلاد جنوب اوربا الشرقي . وهذا الاعتماد لم يكن له تأثير كبير في تحقيق الاغراض التي انشئت من أجلها اللجنة. بيد انها نجحت مع ذلك في عقد صفقات شراء في رومانيا ويوجوسلافيا وبلغاريا وتركيا وفازت بتوريد بعض الاصناف الى هذه البلاد من انتاج الامبراطورية مثل القصب (الجوت) والمطاط والصمغ ... الخ وفي أواخر عام ١٩٤١ غدا من المستحيل عقد صفقات تجارية مع جميع اوربا عدا اسبانيا والبرتغال وتركيا بسبب الغزو الالماني لبقية انحائها . ولقد تقرر في صيف ١٩٤٠ توسيع نطاق الاعمال التي تتولاها هذه اللجنة فشملت اميركا اللاتينية

٤ — حظر التعامل مع رعايا الاعداء

في خلال الحرب العظمى الماضية طبق نظام القوائم السود وهي التي تتضمن اسماء المؤسسات التي يشرف عليها الاعداء ، وقد أخذ بالنظام نفسه في مستهل الحرب الحاضرة . فضلاً عن صدور قوانين تحظر الاتجار مع رعايا الاعداء في الدول المختلفة . ونظام القوائم يبين بصفة خاصة المؤسسات والاشخاص خارج بلاد العدو الذين يعملون لمصلحة العدو من الناحية الاقتصادية ، وهو يعزز الحصار المفروض على العدو تعزيزاً قويًّا . وفي انكلترا لم يكتف بتطبيق القائمة السوداء على البنوك والمؤسسات المالية الأخرى الواقعة تحت السيطرة الألمانية بل شملت منذ يونية ١٩٤٠ البيوت المالية التي تسيطر عليها ايطاليا او التي تتجر مع ايطاليا ، ثم شملت المؤسسات المالية التي تسيطر عليها حكومة فيشي ومستعمراتها . هذا وقد طبق على المؤسسات التجارية في البلاد الواقعة تحت السيطرة الالمانية — ومنها فرنسا المحتلة — قانون الاتجار مع رعايا الأعداء

وفضلاً عن القائمة السوداء انشىء في انكلترا ما يسمى بالقائمة « البلية » وهي تتضمن الحالات المشكوك فيها . وقد طلب من البنوك والبيوت التجارية البريطانية الالتجاء الى وزارة الحرب الاقتصادية لاستشارتها قبل عقد صفقة تجارية مع البيوت التي يحتويها هذا الكشف

٥ — تجميد الاموال

يعدُّ تجميد أموال العدو وسيلة فعَّالة لخفض موارده من النقد الاجنبي . وعقب قيام حالة الحرب مباشرة أعلنت كل دولة تجميد اموال أعدائها ، وبذلك لا تستطيع الدولة المحاربة الانتفاع باموالها المودعة او المستغلة في البلاد الواقعة تحت سيطرة اعدائها . وعمدت المانيا في سبيل التخلص من هذا الاجراء الى نقل جانب كبير من الودائع الالمانية في انكلترا الى اسماء محايدة وذلك قبل اعلان الحرب بينها وبين الحلفاء بل وبعدها . فضلاً عن انها استطاعت ان تنقل الى المانيا جانباً من اموالها في انكلترا كما تمكنت من بيع جانب كبير مما كان في حوزتها من الاوراق المالية المقومة بالاسترليني

وعمدت السلطات الاميركية الى تجميد الاموال الالمانية في الولايات المتحدة ومضت تجمد رؤوس اموال الدول التي اجتاحتها المانيا الواحدة تلو الاخرى وبذلك أنقذت ودائع هذه الدول في اميركا من ذهب واوراق المالية البالغة أكثر من الف مليون جنيه . ولولا التدابير الاميركية لوقع في يد المانيا الاحتياطي الذهبي لكل من البنك الدنمركي الاهلي وبنك النروج وبنك هولندا والبنك الاهلي البلجيكي بل واحتياطي بنك فرنسا من الذهب . ولما كان الالمان قد نجحوا في وضع ايديهم على مقادير كبيرة من الذهب وصكوك

الدفع الاجنبية في البلاد المجتاحة ، فان هذه الاوراق اصبحت تحوَّل الى نقود بوساطة البنوك السويسرية . كما عمدت ألمانيا الى بيع البنكنوت الاسترليني الذي استولت عليه في الأقطار المغزوة في سوق لشبونة وهي التي غدت سوق الصرف الرئيسية في اوربا بعد سقوط امستردام ، رجاء الحصول على دولارات مقابله وتخفض قيمة الاسترليني في سعر الصرف من الجهة الاخرى . ولعل من الاسباب التي صرفت ألمانيا عن غزو سويسرا انها رأت ان بقاءها معبراً لعملياتها المالية الدولية أجدى من غزوها . ومصداقاً لهذا كان معظم الودائع الالمانية في نيويورك ينتقل الى أسماء تمثل بنوكاً سويسرية وسويدية

ولقد جاهدت الحكومة الالمانية — في اثناء صيف ١٩٤٠ خاصة — في سبيل المحافظة على سعر صرف الفرنك الفرنسي الورق في سوق لشبونة . فاشترت مقادير كبيرة منهُ كجزء من سياستها لكسب تأييد الطبقة الحاكمة في فيشي وطبقة المستثمرين الفرنسيين بوجه عام .

٦ — الطيران كسلاح اقتصادي

في آخر ربيع عام ١٩٤٠ برزت في الطليعة وسيلة جديدة للحرب الاقتصادية ألا وهي حطم موارد العدو ووسائل انتاجه وطرق مواصلاته بالاغارات الجوية التي تؤدي ثلاثة اغراض. الاول — اضعاف القوى المقاتلة للعدو بإتلاف معدات القتال والسفن الحربية أو نسف طائراته في الجو وعلى الارض . والثاني — بث الذعر والهلع في قلوب المدنيين بالقاء القنابل على القرى والمدن. والثالث — اضعاف موارد العدو الاقتصادية بإتلاف المؤن من المواد الاولية والغذائية وتعطيل العمل في المصانع والسكك الحديدية والترع والموانئ . على انهُ من الصعب التفرقة بين الغايات الثلاث

وفي خلال شهري مايو ويونيو ١٩٤٠ تمثلت اغارات السلاح الجوي البريطاني في الغاية الحربية . ولكن شُلَّت اغارات على مواطن الصناعة الالمانية في منطقة الرور وغيرها . وبين يونيه وسبتمبر من السنة نفسها توزعت اغارات هذا السلاح لتحقيق الغايتين الحربية والاقتصادية وعندما توالت الاغارات الالمانية على لندن في سبتمبر ١٩٤٠ اشتد الضغط على الحكومة البريطانية لحملها على أخذ الثأر من برلين والمدن الالمانية الاخرى . بيد أنها رفضت هذا الرأي . فانه وان كان تنفيذه يرضي النفوس الثائرة في ذلك الحين الاَّ أن الاغارات على برلين والمدن الالمانية الاخرى دون تمييز ما كان ليؤثر تأثيراً يعتد به في قوة ألمانيا الحربية بل انهُ — في ذلك الوقت — ما كان ليؤثر في الحالة المعنوية للسكان المدنيين الالمان . ويجب ان لا يغرب عن البال أن عدد قاذفات القنابل البريطانية التي يمكن تخصيصها للاغارة على ألمانيا

حينئذ كان قليلاً واقتضت الحال قصر الضرب على بعض الفروع المختارة من الانتاج الاقتصادي الحربي الالماني وبعض مجموعات خاصة من معدات الحرب الالمانية — ولاسيما موارد الزيت ومصانع تكريره ومصانع البترول الصناعي. والبترول ليست تقتصر فائدته على استعماله في المعدات الحربية الحديثة من طائرات ومركبات بل لا غنى عنه في الصنائع الحربية كذلك واذا نقص المتاح منه لها نقص انتاجها ولو توافرت لها الخامات الصناعية جميعاً

ولقد أدركت القيادة الالمانية خطأها في الاغارة على المدنيين فركزت اغارات السلاح الجوي الالماني على كوفنتري وبرمنجهام وسوثهامبتن . . الخ ولجأ الالمان الى طريقة فذة حقاً للحد من تأثير سلاح الطيران البريطاني في الاقتصاد والاهداف الحربية الالمانية ، اذ اقلعوا طوال أشهر خريف وشتاء ١٩٤٠ خاصة وبعد هذا الوقت بصفة عامة في توجيه الاذهان الى مسألة غزو الجزر البريطانية ، وبهذا شغل جانب كبير من الطائرات البريطانية في الاغارة على موانىء الغزو الفرنسية وغيرها التي دعيت بموانىء الغزو

٧ — التدابير الاقتصادية البريطانية ضد ايطاليا

تتشابه الاساليب التي طبقت على ايطاليا والمانيا ، فمنذ اللحظة التي اصبحت فيها ايطاليا دولة محاربة فرض الحصار البحري على وارداتها وصادراتها . ولقد سمح الحلفاء لايطاليا — قبل دخولها الحرب — باستيراد مقادير كبيرة من الزيت والمواد الغذائية والمواد المفرقعة رجاء ابعادها عن الحرب . ومما سهل فرض الحصار على ايطاليا هيمنة بريطانيا العظمى على جبل طارق وقناة السويس ، وما زالت المشكلة الكبرى التي يواجهها الحصار البريطاني هي وقف حركة الملاحة الايطالية الاصلية في البحر المتوسط ولا سيما بين ايطاليا واسبانيا وبينها وبين فرنسا غير المحتلة . وكان على البحرية البريطانية أن تبذل جهدها لصد ايطاليا عن امداد قواتها في ليبيا بالمعدات والمهمات ، وقد تم هذا بنجاح بصفة عامة

فقد عجزت ايطاليا بعد دخولها الحرب عن تلقي شحنات الزيت العراقي من سوريا لتعرض السفن الناقلة لفعل الاسطول البريطاني أولاً ثم لاستيلاء البريطانيين عليها . وكانت تتلقى مقادير كبيرة من الزيت الروماني بحراً قبل دخولها الحرب فأصبح يتعين عليها بعد دخولها أن تنقله براً ، وهو أمر ليس بالسهل لأن المانيا تستأثر بامرورات المخصصة لنقل الزيت في السكك الحديدية الرومانية

وحالة ايطاليا الاقتصادية أسوأ كثيراً من حالة المانيا مع ان ايطاليا دخلت الحرب بعد قضائها حوالي عام منتعشة بحياد جنت منه ربحاً غير يسير . فموادها من القمح والزيت تعاني نقصاً يفوق ما تعانيه المانيا وخاصة بعد سقوط سعيها في غزو اليونان فضلاً عن هبوط

انتاج ايطاليا من الزيت وزراعها تعتمد على المانيا بصفة خاصة في مدها بالحديد الخام ، ولم يسمح لايطاليا بالحصول على مخزون البلاد المفتوحة من الاطعمة ، وهي على العموم أكثر من المانيا كفاية لنفسها من الاطعمة الاّ ان موقفها الغذائي لا تحسد عليه

وتتمثل مشكلة المواصلات الايطالية الرئيسية في حاجتها الى الزيت والفحم الذي غدا ينقل برًّا من المانيا . والنقل بالبرّ اعظم نفقة من النقل بالبحر ولا تتسع جميع خطوط سكك الحديد لنقل ما تحتاج اليه ايطاليا ولو كان متاحاً لها . ومن المسلم به ان الاقتصاد الايطالي سيتأثر بالحرب تأثراً أسرع من تأثر الاقتصاد الالماني بها . وفي غضون عام ١٩٤١ زاد اسناد ايطاليا الى مساعدة المانيا لا من الوجهة الحربية فحسب ولكن من الوجهة الاقتصادية ايضاً

٨ – الحرب الاقتصادية الالمانية ضد بريطانيا العظمى

يتجه الهجوم الاقتصادي البريطاني نحو اجهاد موارد ألمانيا من الزيت وكذلك مواردها من بعض المواد الأولية الاساسية . ولا تأتي مسألة نقص موارد الطعام فيها الاّ في المقام الثاني . اما الهجوم الاقتصادي الالماني فيتجه نحو تحويع الجزر البريطانية بفرض الحصار عليها ونحوه من الاساليب الاقتصادية للحرب ، وكذلك إضعاف قواها المسلحة بحرمانها المواد الضرورية

ولقد وزعت المانيا قبيل بداية الحرب غواصاتها على الطرق البحرية الرئيسية الموصلة الى بريطانيا العظمى ، ومن ثم أسفرت حرب الغواصات في مرحلتها الاولى عن نتائج تبعث على القلق وبينما لم تلتجىء المانيا الى حرب الغواصات غير المقيدة في الحرب الماضية الاّ في عام ١٩١٧ فانها أخذت بها منذ اليوم الاول في الحرب الحاضرة ؛ وهناك فرق آخر بين الهجوم الالماني على طرق اللاحة في هذه الحرب وفي الحرب الماضية ، وهو ان الغواصات عززتها إغارات جوية على السفن البريطانية وهذه الاغارات تركزت في المراحل الاولى من الحرب على بحر الشمال فلم يكن من المتيسر للطيران الالماني مستنداً الى قواعده في المانيا تهديد مسالك الملاحة في المحيط الاطلسي . وكان من ضحايا حرب الغواصات كثير من السفن المحايدة . وكانت الولايات المتحدة في مستهل الحرب قد حظرت على سفنها دخول منطقة الحرب الاوربية تجنباً لاقحامها في النزاع . فنظمت الأميرالية البريطانية القوافل على جناح السرعة وهبطت نسبة خسارة السفن التي تضمها القوافل الى رقم لا يؤبه له ، ودمر عدد كبير من الغواصات

وفضلاً عن استخدام الغواصات وقاذفات القنابل التجأت المانيا في نوفمبر ١٩٣٩ الى الالغام المغنطة التي كان تأثيرها عنيفاً في البدء ولكن لم يمض وقت طويل حتى تمكن خبراء

الامبراطورية البريطانية من ابتكار وسيلة كريهة لابطال فعلها . كما استخدمت المانيا السفن الحربية ولا سيما بوارج الجيب لتصيد السفن التجارية البريطانية

ولم تسفر جميع هذه المساعي العشيمة التي بذلتها المانيا لمنع ورود المؤن الى الجزائر البريطانية الا عن أثر يسير في الاقتصاد الحربي البريطاني . ورغماً عن أن أرقام خسائر السفن كبيرة في حد ذاتها الا أنها تمثل نسبة صغيرة من مجموع حمولة السفن ومقدار البضائع التي تصل باستمرار الى الموانىء البريطانية . وفي خلال المراحل الأولى من الحرب شعرت البلاد بنقص في مخزون المواد الغذائية على أنه كان يرد الى الرغبة في توفير العملة الاجنبية أكثر منه الى فعال الغواصات الالمانية ، لكنها شعرت بعجز في الاخشاب لأنه كان يرد اليها من الموانىء السكندنافية واللطيقية

ولما استولت المانيا على غرب أوربا والبلقان قطعت التجارة البريطانية مع هذه الدول وغدا من المستحيل الاتجار مع دول القارة اذا استثنينا اسبانيا والبرتغال ونهباً لالمانيا بسبب حصولها على قواعد جديدة في بحر الشمال والمانش وساحل النرويج وفرنسا ان تجعل حرب الغواصات والاغارات الجوية اوسع نطاقاً مما كانت قبلاً

وعزز حرب الغواصات والاغارات الجوية ظهور البوارج الالمانية في خريف ١٩٤٠ تقطع على السفن البريطانية الطريق . كما أصبحت قاذفات القنابل الايطالية تهاجم السفن التجارية البريطانية كذلك . وهذا التغير في مركز الفريقين يرد كله بلا ريب الى انهيار فرنسا فلا غرابة ان يكون رقم الخسارة البريطانية في سفن الملاحة في غضون خريف ١٩٤٠ وشتائها وربيع ١٩٤١ قد زاد زيادة تذكر رغماً عن المساعدة الاميركية لبريطانيا العظمى متمثلة في انتقال خمسين مدمرة أميركية الى ملكيتها . كذلك أصبح على بريطانيا العظمى الاستعاضة بالمنتجات الاميركية وغيرها من منتجات القارة الأوربية ، خسرت تجارتها معها واقتضى الأمر بذل جهد كبير في نقل هذه السلع من مواطنها البعيدة الى الموانىء البريطانية ، كما أوجب قصر طريق البحر المتوسط على القوافل الحربية ، استخدام طرق بحرية أطول واضطرت القوافل الايطالية والالمانية وقاذفات القنابل والغيرات (أي السفن الحربية الالمانية) القوافل الى سلوك الطرق غير المطروقة . فهذا كله أنتج بطئاً وضرراً للملاحة تمثل في تأخر وصول شحنات المواد الاولية والغذائية الى بريطانيا العظمى وخسارة في سفن الشحن المتوسطة الحجم الصالحة للنقل عبر المحيط الاطلسي

بيد أنه غدا في أيدي السلطات البريطانية عدد كبير من الأساطيل التجارية للدول المحتلة وخاصة النروج وهولندا كما غدت الحكومة البريطانية تعهدت عظمة لانشاء وشراء او

استعارة عدد آخر من السفن. ومهما يكن من أمر التدابير الألمانية لتعطيل المجهودات الحربية البريطانية وتجويع بريطانيا العظمى ، فلم يكن لها تأثير قوي ، وليس أدل على ذلك من أن بريطانيا العظمى لم تنقص جرايات الطعام او تقلل من تنوُّع الاطعمة . وكذلك الحال فيما يختص بالمواد الاولية . فيكننا أن نقرر أن المجهودات الالمانية الموجهة نحو الملاحة البريطانية قد عجزت عن التأثير في مجهود بريطانيا الاقتصادي تأثيراً ذا شأن

٩ — تنظيم الاقتصاد الاهلي وفقاً لاغراض الحرب

نشأ عن الحرب تغير شامل في أسس الاقتصاد الدولي والاقتصاد الاهلي للامم المختلفة وتقوم الاجراءات الخاصة بتنظيم الاقتصاد الاهلي وفقاً لاغراض الحرب على الاسس التالية :

اولاً — تقييد الاستهلاك

ثانياً — الاستغناء عن السلع المستوردة باحلال منتجات محلية كلما كان ذلك ممكناً

ثالثاً — تحول الصناعات لخدمة المجهود الحربي

رابعاً — الحد من انتاج السلع غير الضرورية

خامساً — الاستغناء عن الواردات الكمالية

وليس الاقتصاد في المواد الاولية بالشيء الجديد في دول المحور . فايطاليا وألمانيا ما فتئتا عاجزتين عن توفير حاجتهما من المواد الاولية من مواردهما الخاصة ، وكانتا لذلك تلجآن قبل الحرب بزمن طويل الى مراعاة القصد الشديد في استخدامها . وفي حالة ألمانيا اضطرتها خطوتها القوية نحو التسلح الى مراعاة أشد التدابير تقصد في استهلاك المواد المواد الاولية خلال السنوات الخمس التي سبقت الحرب ، والانتفاع بالموارد التي في حوزتها الى أقصى حد ممكن مع تفضيل احتياجات السلطات الحربية على المدنية . فنرى مصداقاً لهذا ، اختفاء الاسوار الحديدية من الشوارع والمتنزهات في المدن الالمانية قبل الحرب بزمن طويل . كما اقتضت بقوة وعنف انتاج السلع المدنية التي تتطلب استخدام مواد اولية . ونظم الانتفاع بنفايات المنازل قبل الحرب بأعوام . واستعيض بالمواد البديلة المنتجة في المانيا من المواد الاصلية المستوردة . فرأينا المطاط الصناعي يأخذ مكانة المطاط الطبيعي وابتكر البنزين الصناعي وحلَّ الصوف الصناعي والالياف الصناعية محلَّ القطن . وكذلك الحال بالنسبة لايطاليا . وان كان اقل كثيراً من ألمانيا . والمثل يقال ايضاً عن اليابان والدول المشايعة للمحور . فاذا ما وليا نظرنا شطر بريطانيا العظمى رأينا ان القصد في استخدام المواد الاولية يعدُّ شيئاً جديداً فيها . وفي الواقع كانت الامة البريطانية في الفترة بين ١٩١٩ و ١٩٣٩ تعيش كما كانت

تعيش خلال القرن السابق للحرب الماضية في وفرة من المواد الاولية أتاحتها لها مستعمراتها التي تنتج مواد خام وحيازتها معيناً لا ينضب من النقد الاجنبي بفضل استثماراتها الهائلة خارج الجزائر البريطانية . وهذا النقد الاجنبي يمكنها من شراء ما تريده من المواد الأولية خارج نطاق الامبراطورية البريطانية فلم يكن ثمة ما يبعث على القصد في استهلاك المواد الأولية

بل كانت المشكلة التي تواجه الخبراء البريطانيين خلال المدة التي مضت بين الحربين ليست القصد في استهلاك المواد الاولية ولكن السعي لزيادة المستهلك منها . اذ كان العالم عامة والانتاج البريطاني بعامة بصفة خاصة وفرة في الثروة وسعة في الانتاج

ولقد حملت الحرب الحاضرة معها تغيراً أساسيًا في الاقتصاد الدولي. فقد هبط مدى ما يمكن تخصيصهُ في السفن لنقل المواد الاولية الى بريطانيا العظمى. فالنجاح المبدئي لحرب الغواصات والالغام المغنطهُ خلال الاربعة الأشهر الاولى من الحرب كان حريًا بأن يجعل من الضرورة الأخذ بأشد ضروب الاقتصاد في استهلاك الأطعمة والمواد الاولية . فطبق نظام البطاقات على المواد الغذائية الرئيسية فشمل استهلاك الزبدة والسكر وقديد الخنزير واللحم ثم المرجرين وشحوم الطبخ والشاي ، وقللت المقادير المعينة للاستهلاك من هذه الاصناف بتغيير المتوفر منها في البلاد كما ادخل نظام البطاقات كذلك على استهلاك البترول للمدنيين . واتجهت الدعاية الحكومية الى حث الجمهور على القصد في الشراء والاستهلاك

***

أما ألمانيا فقد طبقت منذ اللحظة التي بدأت فيها الحرب نظاماً عامًا شاملاً متشعب النواحي لبطاقات المواد الغذائية والسلع المصنوعة المخصصة لاستهلاك المدنيين . وكذلك الحال في ايطاليا واليابان . كما أخذت معظم دول العالم بنظام البطاقات عن طريق مباشر او غير مباشر

وعمد الفريقان المتحاربان الى تخصيص الانتاج لسد حاجة المجهود الحربي اولا وللضروريات المدنية ثانياً . فتحولت مصانع السيارات الى مصانع لانتاج الدبابات او السيارات الحربية وتحول جانب كبير من مصانع الملابس المدنية لصناعة الملابس العسكرية ... الخ

ومثل هذا يقال في الموردات . فقد اقتصرت على السلع الضرورية من غذاء ومواد اولية مع تفضيل حاجات المجهود الحربي ، وهذا يحقق فائدتين الأولى توفير ما تحوزه الدولة من نقد اجنبي لسداد ثمن ما تشتريه من سلع ضرورية من الخارج والثاني افساح مجال الشحن في السفن لهذه السلع

النفس

لأحمد محفوظ

نشرنا في مقتطف يناير ١٩٢٤ قصيدة ابن سينا في النفس ومعارضة شوقي لها . ثم في شهر مارس ١٩٢٤ قصيدة يوسف أسعد في معارضة القصيدتين . وقد عاد الشاعر أحمد محفوظ الى الموضوع ذاته بعد ثماني عشر سنة . واليك قصيدته :

غدرت (بكسرى) في الزمان وتُبّع ... وتَرفّعت عن كل ذات تَرفُّع
حسناء مقدمها يثاثر فرحة ... وعلى الرّحيل مسيرها في الادمع
حلّت (بعيسى) رحمةً ومحبة ... فشت (لروما) حجة لم تُدفع
وعلى سفوح (الطور) عاين ضوءها ... ضوءَ اليقين من الطريق المَهيع
وعلى (حِراءٍ) في قرارة غاره ... سَهلت بكلمات البيان الممتع
(جبريل) زكّاها وقدّس سرّها ... بالبينات من المكان الأرفع
ومضت الى (سقراط) تسكب حكمةً ... سمّا تَرقرق في وخيم المَكرع
وسمت (بفرعون) الملوك الى الذرى ... رفع البناء وظلمهُ لم يرفع
وسرت الى ظلمِ الهياكل ظلمةً ... وبدت ضياءً في السجود الرُّكّع

***

يا نفسُ موطنك الخلودُ وانما ... هذا القدوم على رحيل مزمع
حارت بك الأفهام في أبحاثها ... عيّى الغبيّ فنال شأو الألمعي
وأرى وسيطك ممعناً متعمقاً ... بين المجامع يفتري أو يدّعي
هل تُرجعين وقد فررتِ من الأذى ... وازهُ ان وجسد الأذى لم يرجع
وسموك طيفاً في المجرّة سابحاً ... يرنو بطرف او يصيخُ بمسمع

***

يتلهفون على مصيرك بعد ما ... تضعين ثوبك تحت ظلّ المصرع
ولانتِ سرُّ الله في أكوانهِ ... وجمالُ ذاك العالمَ المتنوع

لم يمنح الله الوجود عطية أغلى وأثمن من سناك المبدع
مصباحك الزاهي على عليائه قبس الكليم على الجبال اللمّع
ولربما خفت الضياء فلم يكن الاّ ذماه ذبالة لم تسطع
وتكاد تُظهرك العيون وطالما كشفت ظلالك من خفيّ المطلع

***

يا نفس مالكِ قد طويت عوالماً وثويت بين مُضيّق ومضيع
ورضيتِ من ذاك المُقام بهيّن قلب يصفق في حنايا الأضلع
الله في (غاندي) فقد كلفته حمل الثقيل على جديب المرتع
وطويته طيّ الشراع عن الهوى ومنعته من صفو ذاك المشرع
وجعلت للزهاد فيه اسوة رهبان (مدين) دونه في المنزع
خضع القويُّ له على شدّاته لولا حَماتك عنده لم يخضع
هذا (ابن سينا) قد حباك بتيمة هتف البيانُ بذكرها في المطلع
لكنها عجزت وكلّ رويّة دون الوصول الى الجليّ المقنع
ولقد علمت بأن دون بلوغه سرّ السماء وسدة لم تُنزع
واذا الجلال تهتّك استارهُ هانت قداسته على المتطلع

***

وأرى (أمير الشعر) عندك حائراً دون الحقيقة عاجزاً لم يصنع
قد ظل يحمل في هواك صبابة حذر الفراق عيونه لم تهجع
والحبّ تحت الشيب همٌّ واصبٌ وعلى المذاق مرارة المتجرع
عاينته فوق الوسائد راقداً فملكت نفسك من وثير المضجع
وقطعت حبلَ الودّ بعد وصاله ليت المليحةَ حبلها لم يقطع
صبرَ المحبّ على فراقك ساعة بين الدموع وطفقة المتفجع
ثم استقلّ الى اللقاء ركابه بفؤاد موفور الصبابة مولع

***

يا نفس ويحك قد ولِجتِ بقاحل وكرهتِ سيرك للجناب الممرع
هل أنتِ الاّ في الحياة غريبة ؟؟ ان الغريبَ مصيره للمرجع

النباتيون

المشهورون وما يرمز اليهم به

—٢—

لمحمود مصطفى الدمياطي

﴿ اندرسون ﴾ وبقية اسمه وليم Anderson, William ويرمز له Anders. عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو انجليزي من علماء الطبيعيات رافق القبطان كوك في رحلته من ١٧٧٢ — ١٧٧٥ بصفة جرّاح وقد اختار العالم النباتي روبرت براون نباتاً من الفصيلة الأباكردية Apocridaceae وجعله جنساً ثم نسبه الى اندرسون المذكور ولذا يعرف هذا الجنس باسم « اندرسونيا » Andersonia ومجموعته في نماذجات الأعشاب (معشبته) التي جمعها من جزيرة تسمانيا موجودة بالمتحف البريطاني في لندن

﴿ بكّاري ﴾ وبقية اسمه ادواردو Beccari, Odoardo ويرمز له Becc. ولد بفلورنسا في ١٩ نوفمبر ١٨٤٣ وهو نباتي ايطالي وله مستكشفات في غينيا الجديدة وجزر الهند الشرقية وافريقية الشرقية واسّس « الجريدة النباتية الايطالية الحديثة » (١٨٦٩) Nuovo giornale obtanico italiana وهذه الجريدة مع « نشرة الجمعية الجغرافية الايطالية » Bollettino della Società geografica italiana تشتمل على معظم اوصافه لرحلته واستكشافاته النباتية

﴿ بلين ﴾ « الكبير » واسمه (كيوس بلينيوس سكوندوس) Pliny "The Elder" (Caius Plinius Secundus) ويرمز له Plin. ولد في كومو (كوموم بالرومانية الحديثة) من إيطاليا في سنة ٢٣ مسيحية وهلك في توران بركان ويزوف في سنة ٧٩ مسيحية وهو روماني شهير من علماء الطبيعيات ذهب الى روما في حداثة سنه وخدم في افريقية ولما كان عمره ٢٣ سنة عين قائداً لفرقة فرسان في المانيا ثم عاد الى روما ودرس القانون وكان بعدئذ نائباً حاكماً في اسبانيا من قبل نيرون . ثم نيطت به خدمات رسمية أخرى في جهات شتى من الامبراطورية وله أعمال في العلوم الأدبية قام بها في جهاد فائق الحدود وفي فترات أعماله الرسمية (مع صعوبة فراغه من العمل لترويح نفسه برهة من النهار او الليل) قد امتدت الى

ناحية فن القيادة والتأريخ وفقه اللغة وعلم البيان أو الفصاحة والعلم الطبيعي ولكن لم يبق من مصنفاته الا كتابه في « التاريخ الطبيعي » فقط Naturalis historia في ٣٧ مجلداً وكان أهداه سنة ٧٧ مسيحية الى القيصر تيتوس وقد زاد فيه اضافات جعلته كبير الحجم الى ان مات . وكان موته على ما جاء في بيان محفوظ من خطاب لبلين الصغير بسبب محاولاته مشاهدة ثوران بركان ويزوف عن قرب ومعاونة من كانوا منه في خطر . والكتاب نوع من موسوعة في العلم الطبيعي لكن غرضهُ من مؤلفه انما هو لاتهاجه في حياة الانسان والفن

﴿ بوير هاڤي ﴾ وبقية اسمهُ هرمان Boerhaave, Hermann ويرمز له . Boer ولد في فورهوت قرب ليدن من هولندة في ٣١ ديسمبر ١٦٦٨ ومات بليدن في ٢٣ سبتمبر ١٧٣٨ وهو طبيب هولندي شهير كان أستاذاً لعلم النبات والطب والكيمياء في جامعة ليدن من ١٧٠١ — ١٧٢٩

﴿ بونپلان ﴾ وبقية اسمهُ إيمي Bonpland, Aimé ويرمز له Boupl., Bon. ولد في لاروشيل في ٢٢ أغسطس ١٧٧٣ ومات بسان بورجا من أوراغواي في ٤ مايو ١٨٥٨ وهو فرنسي من علماء الطبيعيات ورحالة سافر مع العالم الشهير همبولد وتجوّل في اميركا من ١٧٩٩ — ١٨٠٥ ونشر عند عودته مؤلفه « نباتات المدارين » Plantes équinoxiales ومصنفات أخرى في علم النبات وفي ١٨١٦ ذهب الى بيونس إيرس وفي ١٨٢١ أزمع رحلة من تلك المدينة الى بوليڤيا ولكنهُ اعتقل عند اجتيازه حدود پراغواي بأمر من الزعيم فرانسيا في ٣ ديسمبر ١٨٢١ ولم يؤذن له في مغادرة البلاد حتى ١٨٣٠ وبعدما أفرج عنهُ أقام في مزرعة صغيرة قرب تخوم أوراغواي والبرازيل

﴿ بوري دي سان ڤنسان ﴾ وبقية اسمهُ جان باتست جورج ماري Bory de Saint Vincent, Jean Baptiste Georges Marie ويرمز له . Bory ولد في أجن من فرنسا ١٧٨٠ ومات في باريس ١٨٤٦ وهو فرنسي من علماء الطبيعيات ورحالة شهير صنف كتاب « بحث في جزر فورتونيه وجزيرة الاطلنطيد القديمة » (١٨٠٣) Essai sur les îles fortunées et l'antique Atlantide وكتاب « بحث في الانسان من الناحية الحيوانية » (١٨٢٧) L'homme, essai Zoologique

﴿ براون ﴾ وبقية اسمه روبرت Brown, Robert ويرمز له Br.

ولد في مونتروز من اسكتلندة في ٢١ ديسمبر ١٧٧٣ ومات بلندن في ١٠ يونيه ١٨٥٨ وهو نباتي بريطاني كان خادماً لعلم الطبيعيات في بعثة فيانسدر الاستوالية من ١٨٠١ — ١٨٠٥

وأميناً لقسم علم النبات في المتحف البريطاني بعد (١٨٢٧) وصنّف كتاب « مقدمة لنباتات هولندة الجديدة» (١٨١٠) وملحقه (١٨٣٠) Prodromus florae Novae Hollandiae وكتاب « ملحوظات عامّة عن علم النبات في ارض استراليا» (١٨١٤)

General Remarks on the Botany of Terra Australis

﴿ برونيار ﴾ وبقية اسمه ادولف تيوفيل Bronguiart, Adolfe Théophile ويرمز له Brongn. ولد بباريس في ١٤ يناير ١٨٠١ ومات بها في ١٩ فبراير ١٨٧٦ وهو نباتي فرنسي ابن الاسكندر برونيار الذي كان استاذاً في حديقة النباتات ومصنفاته هي كتاب « بحث في الترتيب الطبيعي للفطريات » (١٨٢٥)

Essai d'une classification naturelle des champignons

وكتاب «تاريخ النباتات المستحيلة الى حفريات » (١٨٢٨)

Histoire des végétaux fossiles

وكتاب « مقدمة في تاريخ النباتات المستحيلة الى حفريات » (١٨٢٨)

Prodrome d'une histoire des végétaux fossiles

وكتاب « دراسة تركيب الأوراق ووظائفها » (١٨٧١)

Memoire sur la structure et les fonctions des feuilles

﴿ بروسونيه ﴾ وبقية اسمه بيير ماري اوغست Broussonnet, Pierre Marie Auguste ويرمز له Brouss. ولد في مونپلييه من فرنسا في ٢٨ فبراير ١٧٦١ ومات بها في ٢٧ يوليه ١٨٠٧ وهو طبيب فرنسي ومن علماء الطبيعيات واكثر شهرته انهُ نباتي

﴿ بلاس ﴾ وبقية اسمه بيتر سيمون Pallas, Peter Simon ويرمز له Pall. ولد في برلين ١٧٤١ ومات بها في ٨ سبتمبر ١٨١١ وهو الماني من علماء الطبيعيات ورحّالة تجوّل في روسيا وسيبيريا من ١٧٦٨ — ١٧٧٤ وقد ذكرَ هذه الرحلات بالتفصيل في مؤلفه « رحلات في الولايات المختلفة من الدولة الروسية » (١٧٧١ — ١٧٧٦) Reisen durch verschiedene Provinzen des russischen Reich وصنّف ايضاً كتاب «أنواع الحيوان» (١٧٦٧—١٨٠٤) Spicilegia zoologica وكتاب « النباتات المنسوبة الى الرحالة روس» (١٧٨٤—١٧٨٨) Flora Rossica وكتاب «مجموعات الاخبار التاريخية عن الأجناس المغولية » (١٧٧٦ — ١٨٠٢) Sammlungen historischer Nachrichten über die mongoschafteulischen Volker كما انهُ صنّف كتباً أخرى علمية متنوّعة

(يتبع)

مدرسة تاجور

— ٢ —

لمحمود المتجوري

ليست المدرسة في رأي تاجور هي هذا المكان المحدود الذي أقامهُ بمدينة بلبور بالبنغال، ولكن المدرسة كما يراها تاجور هي العالم كله ، لان تاجور يعالج مدرسته على انها العالم الغير المحدود ، في حين انهُ يعالج العالم على انهُ أسرة محدودة في نطاق مدرسته ، ومن هنا استطاع أن يبشر بدعوته الى العالمية والى الانسانية ، وان يبعث رسالته شاملةً التفكير البشري ، شائعةً في مدرسته ، منبعثةً منها الى العالم جميعاً ، كأنَّ هذا العالم الواسع قد حُشدَ في نطاق تحت مجهره ، يرقبه ، فيرى الحقائق واضحة ، ويرى جرثومة الانانية تذوي في خلايا هذا الجسد المتداعي ، وفي قيم هذه المدنية ، على ما فيها من ذخر علمي وفكري ، كان يجب ان يسمو بالانسان الى مدنية فاضلة جامعة ، تدعو الى ازالة الحواجز والقيود التي صنعها الانسان بنفسهِ ، فقيد بها تفكيره وأذلَّ بها عنقه وأهدر بها انسانيته

فتاجور الذي يدعو الى محو الفوارق في الجنس واللون والقومية وازالة الحدود المعنوية بين الأوطان، لا يمكن ان تبقى تعاليمه محدودة في بناء مدرسته، ولهذا كان المعنى الشامل لمدرسة تاجور هي هذه القلوب العامرة بتعاليمهِ في جميع الاقطار. فتاجور معلم يعالج مشكلاتهِ وأمراضه من طريق الروح لانهُ يعتقد :

« إن الروح هي التي تلهم الانسان كل شيء وهي التي تبعث تفوقها على تاريخ الحياة البشرية » (١)

فأسلوبه مستمد من تعاليم الهند ومن العقائد الثابتة في كتاب « يوبانيشاد » المقدس ، فقيوبانيشاد ولتعاليم بوذا اكبر الاثر في تخريج تاجور وإلقاء روحه وانبرائها على المعاني السامية التي اراد التعبير عنها في مدرسته وكتبهِ ورحلاته — فتعاليم الروح ووحيها المتصل بالفكر هي مصدر أسلوبه في معالجة مشكلاتهِ ، وهو يتبع أسلوبه في حياته الخاصة ، ويبشر بهِ في عالمهِ وفي مدرسته ، لانه يعتقد

« ان الاسلوب الروحي لازم حياته ، وانهُ غير ضروري لحياة الآخرين من الناس » (٢)

على ان هذا لا يتناقض مع اتجاه تاجور نحو التجديد في الثقافة والفكر والنزوع بالمدنية نزعة انسانية خالصة

---

(١) و (٢) مقدمة كتاب سعد هار

وما دام اليوبانيشاد هو قاعدة من قواعد الثقافة الفلسفية والخلقية والدينية لتاجور ، فلا بد لنا من ان نُلمَّ بشيء من تعاليم هذا السفر المقدس ، وان نَبسُط الآراء الروحية والفلسفية التي حوتها تعاليمه ، باعتبارها أساسا ثقافيًّا في مدرسة تاجور وفي رسالته العالمية

« اليوبانيشاد »

« ليس لكلمة upanishads يوبانيشاد تفسيراً ظاهراً » ولكن بعض العلماء الاوربيين يردون هذه الكلمة الى أصل كلمة sad المشتقة من الاصل اللاتيني كلمة sedeo بمعنى الجلوس الى او الدنو الى الفرس مثلاً »

واني لهذا استطيع ان أجد كلمة في اللغة العربية تؤدي هذا الأداء كاملاً صحيحاً ، وهي كلمة « مقامة » وجمعها « مقامات » وهي جلسات تعقد للعلم والبحث يستدير فيها الطلبة الى شيخهم فيحدثهم وهم جلوس اليه يستمعون ، وهذه الجلسات عرفت في الأدب العربي بالمقامات ، التي أطلقت مجازاً على نوع من النصوص الأدبية كمقامات الحريري والزمخشري وغيرهما . ولهذا استطيع ان استعير كلمة « مقامات » لاطلاقها على « اليوبانيشاد » وهي أسفار مقدسة جمعت تعاليم الهند الفلسفية والروحية وعقائدها واساطيرها مكتوبة ، مقامة مقامة ، كل أمليت في جلسة من جلسات حكماء الهند قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة (١)

« فاليوبانيشاد أسفار حوت اصطلاحات دينية وفلسفية عن الروح « أتما » وعن القوة الدافعة المحركة لاتجاهاتها المختلفة من خير او شر « كارما » وعن الانسان « بيروش » والتفكير والادراك والشعور والارادة والجسد والحرارة والعقل والذكاء والمعرفة والحركة والسكون والانفلاك والاجرام والطبيعة وما حوت من قوى عقلية وكل من هذه وغيرها له أسماء خاصة تتصل بعضها ببعض ومرتبطة بحركة الروح وما يدعم الروح من قوة مدبرة تشرف عليها وتديرها وتحكم أمرها وتديرها ، وهم يسمون هذه القوة التي تصل الكائنات من انسان وحيوان وجماد بقوة الخالق « براهما » . فبراهما هي القوة الكائنة حقيقة في الله وفي النفس ، وهي التي ترى الكائنات تخلق وتشرف على الأرض لتوجيه الوجود وهي في قلب الانسان تشعره بأنه هو العالم في قوته وعظمته » (٢)

هذه هي عقيدة البراهمة يرون الله موحداً في كل شيء ، في تقسيمه وفيما حوله من كائنات وآفاق ، ويرون الصلة بين الفرد والخالق ، وبينها وبين الكائنات ، حقيقة مطلقة تدبر الوجود ، وهم يؤمنون بوحدانية القدرة الخالقة ، ثم يرون ان هناك حقيقة قدسية أوجد بها الخالق هذا الوجود لحكمته العليا ومسرته وبهجه بالخلق والايجاد . هذه القدرة التي تربط العالم في وحدة كاملة هي (براهما) ذات التقديس الاعلى . ويُرَدُّ سفر اليوبانيشاد الى أسانيد ثلاثة اولاً ، حقيقة الشيء المحدود تخرج من الغير المحدود من براهما . ثانياً ، براهما هو جوهر الفكر

(١) Denssen : Philosophy of Upanishads

(٢) براهما-Brahma-Knowledge : للدكتور جوت

وهو الروح. ثالثاً ، براهما حقيقة واحدة لاتتغير في تفكير كل فرد وهي كائن مطلق مشرف على الروح « أتما »[1] او بعبارة أخرى يحتوي الوجود كما ينص التوحيد الاسلامي على ثلاثة عناصر: ناقص وكامل وتام، فالناقص ما خلق محتاجاً الى غيره مسخراً له كالجماد والحيوان، والكامل ما خلق ناقصاً عن درجة التام فهو مخلوق محتاج الى ما يحركه ويدفعه من قوة مستمدة من التام ، والتام ما لايحتاج في وجوده الى غيره لمخالفته في طبيعته وهو كائن بذاته وهو مصدر القوة والخلق للكامل والناقص وهو الله الواحد سبحانه

ويعدُّ الهندوس اليوبانيشاد احد الاسفار الاربعة التي تشمل تعاليم الفيدا (Vedas) أي المعرفة ، وهي « البراهاناس » و« أرانياكاس و« الفيداس »و« اليوبانيشاد » — وكل سفر من هذه يبحث في مطلب من مطالب الحياة والكون

على أن هذه الكتب تدعو جميعاً الى براهما . وتبشر بأن « العالم هو عقل الانسان وتفكيره وتأملاته » أو هو شخصية الفرد المتنبهة الكاملة

فادراك الفرد لشخصيته هو أساس لفهم العالم وأسراره وفي هذه المعاني يقول تاجور :

« إن شخصيتنا في أول حق لنا ، نحن موجودون ، ذلك ما لاشك فيه . ويسير علينا أن نعرف أنفسنا اذا بحثنا في غورها ، ومعرفتنا أنفسنا تمرننا ، لكنها تنتهي على هذه المعرفة في كثير من الاحيان ، مظاهر الاشياء المحيطة بنا والتي تأخذ على التفكير حقيقة وجودنا . لكن هذه الحقيقة تبدو لنا وتسعد بها اذا نحن أحببنا انساناً او شيئاً من الاشياء ، ذلك بأنا نرى أنفسنا في هذا الذي نحب ، ومن ثم كانت سعادة الحب ، ومن ثم كانت حرية الحب . وانك لترى نفسك أكثر ما تكون حرية اذا أحاط بك من تعرفهم من أهلك وأصحابك وتكون حراً حقاً اذا أحاط بك من تحب . فأما اذا أحاطك أجانب عنك فحريتك تحد وتنحسر في نفسك بضيق ميل

وكلما اتسعت أمامنا مدى الحب كنا به أكثر سعادة ، فليس الابن عزيزاً على أبيه لذاته ولكن لان الاب يرى نفسه فيه ، هو يرى فيه خلد حياته في الاجيال المقبلة. ويرى لذلك اتصاله بالاشياء أكثر دقة وانه لذلك يتطفل في ادراك اللانهائية أكثر مما تطاول من قبل

فاتصال الشخصية الفردية بالعالم وبالحياة هي أساس لفكرة الثقافة الروحية في عقائد الهند » (٢)

وفي الحق إن في اليوبانيشاد مباحث يجمل بالمشتغلين بالفلسفة ان يدرسوها دراسة مفصلة وان يعقدوا مباحث مقارنة بين هذه الدراسات وبين الآراء الغربية التي طلع علماء الغرب علينا بها ، وهي في الشرق موجودة مقررة في كتبه القديمة — فانك لتجد في هذا السفر المقدس بحوثاً روحية عن الشخصية المتنبهة والشخصية الغير المتنبهة . وعن الاحلام واليقظة واتجاه الروح في الحالين ، وعن النفس وقوة الارادة ومبلغ تأثير الارواح بعضها في بعض (المغناطيسية) وعن روح الفرد وروح العالم ، وما الى ذلك من ابحاث طريفة متصلة بعلم النفس كما نافشته نظريات (فرويد) أخيراً . ولكن مهما تكن هذه الابحاث ، فانها تمي

(١) Brahma-Knowledge Dr. Barnett (٢) من محاضرات تاجور بالقاهرة

وللباحث المتصلة بشخصية الفرد والشخصية الجامعة، أو بعبارة اخرى كيف يشعر الفرد بشخصية كاملة شاملة العالم فقال :

« إن هذا العالم الذي يولد فيه الناس هو حقيقة ، ولكنها غير تامة ؛ لانه عالم زائل او متجدد على قدر تفكيرنا ونظرنا وقياسنا للاشياء ، هو كالرحم الذي يحتوينا في طور ما من أطوارنا فنحن عندما نخرج من الرحم نستقبل هذه الحياة فتحتوينا كرحم آخر كبير ، ولكنه لا يختلف عن الرحم الاول ، من حيث هو زائل أو متغير ، والحقيقة التامة هي ان يولد الانسان في حياة ثابتة لا تتغير ، في أحضان الشخصية اللانهائية التي لا تفنى . أما هذا العالم الذي نعيش فيه فهو عالم القوانين والمادة والقوة . وهذه عناصر يفنى بعضها بعضا — ولن يجد الانسان حريته التامة في عالم أحيط بالقيود وعوامل الموت والفناء . والانسان لن يدرك معنى وجوده حقاً ، ولن يتمتع بالمباهج الروحية ، إلا اذا انفصل عن هذا العالم كما انفصل من رحم أمه أول مرة ، ودخل في عالم الشخصية التامة ، الذي يؤكد إيماننا في البقاء والخلود الروحي ، ولا تدركه عقولنا من طريق العلم المحدود . نحن لا نستطيع ان نعي هذه الشخصية الجامعة ، إلا عندما تنفصل من قيود الحياة المادية ، فعندما نشعر بالانفصال عن هذا الكون نشعر بالوحدة مع « الكل » . ولكننا قد ندرك معاني الانفصال أثناء وجودنا في هذه الحياة ، عندما تتصاعد مداركنا الروحية ، وتسمو عن عوامل الفناء ويقع هذا شعور بالوعي بالوحدة . ولهذا لاتصبح حياتنا محدودة بل تكون أكثر اتساعاً وأرحب نطاقاً لمدى الحرية والتفكير — ولن يدرك الانسان هذه الحقائق اذا عاش في حدود نفسه الخيفة أي اذا عاش حياة فردية تشرف عليها الانانية والانرة

وغاية الانسان هي ان يتحرر من قيود هذه الحياة الاولى ، وان يبعث الى حياة ثانية ، يجد فيها الامن والسلام الروحي — وسبيل هذه الحياة هي ان ينصرف الانسان الى الخير ويثير في نفسه دائما عوامل السمو بأن يفكر ويفهم الحق وحده لا سواه فيه ، وان يثير ضميره ويقفي بوجدانه ، ويخلص نفسه من سجن أنانيته وشهواته — ويطلق النفس في سجية خيرة الى ساحة الحب ، حيث تسود الروح العالمية الواحدة التي تتحرر بتحرر واحد وتضم هذا الوجود كائناً موحداً في صميمها . ولن نحظى بهذه الشخصية الجامعة ، إلا بادراك الوحدة الروحية والاتصال بمركز الصلات جميعاً ، الاتصال بالحقيقة المطلقة ، وان هذا لهو غاية ما يبتغيه الانسان

فاذا فقدنا هذه الشخصية الجامعة ، القوية بروحها ، المتماسكة بعناصرها الخيرة ، واذا تلاشت هذه الشخصية تساقط العالم إرباً متناثرة ، وأصبح أشتاتاً من أشياء مجردة لاتبية لها ولاخير فيها . وتصبح للمادة والقوة والشهوات والمقولات وما اليها من عناصر المدنية ، قوى غير مؤتلفة لا يتصل بعضها ببعض ، فتتبار وتصبح رماداً لا خير فيه — ان الحق هو الصلة ، هو الحقيقة التي تدير لنا الشخصية العالمية الجامعة ، ويجب ان تتصل به عناصر الحياة ليسودها الخير ، فيضفي على الانسان شخصية كاملة متصلة بالحقيقة دائما . ان الحقيقة واحدة غير متعددة ، وفي هذا لا شك ، وإلا لم يعد هناك كل قوة او مظهر من مظاهر الانسان . كالمادة ، والقوة ، والمقولات ، وما يتصل بالروح من مطالب ، اذا عددنا كل ناحية من هذه له حقيقة خاصة ثابت طبيعة وجوده ، وتهدمت ؛ لان الوحدة الذاتية التي فيها هي أساس لحقيقة واحدة تنتظم نظام الحياة — وقد أدرك الانسان منذ ربحه الاول هذه الحقيقة ، في أشتاته ، وتخيلاته ، وشكوكه ، وبحوثه وعقائده . وأيقن ان هناك مركزاً لا نهائياً تنسب اليه كل الشخصيات ، او بعبارة أخرى ينتسب اليه عالم الحقيقة ، ذلك المركز اللانهائي هو الفرد الصمد والواحد الاعلى »

فتاجور كما نرى يبشر بتعاليم الهند تبشيراً صريحاً من طريق العقل والتفكير والوعي دون ان يتعرض كثيراً لذكر عقائد الهند من اسماء آلهة او مصطلحات ، وهو يفيض على هذه التعاليم روح الادب والفن ويضفي عليها جمالاً ، وهو مخلص كل الاخلاص لرسالة الهند ، لانه يؤمن بها ، ويعتقد انها رسالة العالم ومنقذة الانسانية

هذه الثقافة الروحية هي وحي تاجور المستكن في أدبه وفنه وفلسفته ومدرسته . ولقد استطاع ان يخرج من تعاليم « فيدانتا » كما خرج من تعاليم اليوبانيشاد صوراً شتى في الأدب والفلسفة والجمال كونت هذا الذخر الأدبي الخالد (١)

والفيدانتا كلة من كلمات اللغة السنسكريتية القديمة معناها «حدود الروح» اشتملت على تعاليم مقدسة متصلة بتعاليم اليوبانيشاد وبهما يؤمن البراهمي ايماناً ما فيه شك — وفي الفيدانتا صور أدبية رائعة ألهمت تاجور بأخيلة عذبة صدرت عن نفس مؤمنة بها تمام الايمان . فالفيدانتا تقول (٢) :

« إن جسد الانسان هو مدينة الله براهما ، حيث يسكن في قلبه ، وأما ابواب هذه المدينة فهي البصر ، والشم ، والسمع ، والحواس الاخرى ، واما ملك هذه المدينة المتوج فهو الروح »

وتقول الفيدانتا بوجود عالم داخلي للانسان :

« في مدينة براهما (٣) ثغر زهرة اللوتس الصغيرة ، مستقرة بها ، يحوطها فراغ قليل ، هو مجال للتفكير البشري كلما بحث عن الحقيقة ... وان الانسان ليدرك ان هذا الفراغ الضيق الواقع في شغاف قلبه ليس الا عالماً كبيراً منسحاً ، فالبحث والتفكير والتأمل — في هذا الفراغ تستقر الحقيقة ، من السماء ، والارض ، والنار ، والريح ، والشمس ، والقمر ، والبرق ، والنجوم ، — يستقر في هذا الفراغ حول قلب الانسان ، ما يعلم وما لم يعلم »

« في مدينة براهما يستقر كل شيء ، في صور من المعرفة والحق ، كما تستقر الرغبات ، ومطالب النفس ، والتفكير ، ونزعات الروح ، والوجدان . وتستقر الروح منزهة عن الشر ، باقية ، خالدة ، مجردة عن حدود الزمن ، زكية عن الشرور والاحزان ، بعيدة عن الظمأ ، والحطيئة متصلة بالحق دائماً ، ولكن تمتنى في مستقر الحق والتفكير والوجدان شهوات تلو شهوات ، وليس لها من داع إلا الله براهما ، يبعث اليها بنوره فيهديها صراطاً مستقيماً ، فيزول الشك ويحل اليقين والامن الروحي ، وينبثق جلال براهما نبعاً كريماً ، فتتجنب النفس نزعات الشر ، منسمة طيبة ، وتبرأ الروح من الوهن والمرض ، ويشرق النور متجلياً سرمدياً في قلب الانسان ، حيث تستقر المعرفة باقية خالدة »

وفي الفيدانتا تعليم يقول :

« انا المطلق ، أنا كائن غير محدود ، أنا من كل لانهائيته في مولده ، وفي نهايته ، وفي عدد أنفاسه — انا أنا أعبد الكائن الصمد الباقي الذي لا يتغير

« لقد خلصت من الارادة ، فكانت تي الدنيا محدودة بظاهر من إرادتي ، — إن ارادة الله كائنة في العقل ، مجسدة في الروح ، مصورة في الضوء ، وما أنا الا الحق فيما أبتغي ، لا يغيرني في روحي . كائن في عقلي مجسد في ارادتي — أنا كائن مسخر في عمله ، وتفكيره ، وعلمه ، وشمه ، وسمعه ، وبصره ، وذوقه ، ولمسه ، ومنطقه »

« أنا لا أخفي ولا أظهر شيئاً — انما روحي حشاشة في سويداء قلبي ، صغيرة كحبة البر ، في لب نفس

(١) راجع مصادر شعر تاجور ص ١٨٠ وما بعدها المقتطف ج ٢ و ٣ م ١٠٠ للمحرر

(٢) النصوص التالية عن الدكتور براون أستاذ اللغات الهندية بجامعة لندن

(٣) كناية عن جسد الانسان

شف دقيق يحتوي الدنيا وما فيها ، من يبس وماء وسماء ، هي أكبر ما في الوجود ، هي أوسع من الارض وأوسع من السماوات ، هي دائبة في ادراكها ، متحركة ، عاملة ، ناصبة ، ذات ارادة ، تسمع ، وتعي وتحس ، وتتم ، وتذوق ، وتفيض على ناصية الحياة ، وهي على كل شيء قديرة ، هذه روحي في شغاف قلبي — هي أنا ، هي براهما ، منه واليه مرجعي وملاذي ، ونصرة ضميري وانقاذي ، واليه مصيري وآخري وعند الساعة ، ويومئذ أخلد في يقيني وايماني » (١)

من أنا :

« القلب ، والعقل ، والوجدان ، والادراك ، والتمييز ، والذكاء ، والحكمة ، والرأي ، والعزم ، والفكر ، والفطنة ، والرغبة ، والذاكرة ، والتصور ، والقوة ، والحياة ، والارادة — إن هي إلا أسماء البصيرة — وتلك هي براهما ، جوهر القوى الفعالة في الوجود ، هي جوهر عناصر الكون الخمسة ، الارض والريح ، والأثير ، والماء ، والضوء ، وما عداها الا مخلوقات وان عظمت حقيرة لا عمل لها ، وهي وما يخرج من البيض والارحام ، من حيوان وانسان وطير وهوام وزواحف وكل ما ينفخ وتنفس ، دبّ أو سعى أو تحرك او جمد — كل هذه كائنات تسيرها البصيرة ، وان العلم لجهول على البصيرة ، ولمدفوع بها ، وما البصيرة غير الله براهما ، الكائن في الانسان » (٢)

اعرف نفسك :

« أنا من ضم قلبي براهما فحتوى الكائنات ، وطوى الدنيا طي الكتاب — لا أراه ، لانه لا يُرى وان كان هو البصر ، ولا أسمعه لانه لا يسمع وان كان هو السمع ، ولا أحسه ، لانه لا يحس وان كان هو الحس ، ولا أمسه لانه لا يلمس وان كان هو اللمس ، أنا منه وهو في نفسي (٣) — هو سبيلي الى العالم أقفو أثره فأدرك العالم ولا أدركه هو ، هو المعبود كائنا فينا

أنا به وبذاتي كائن مطلق ، له ارادة ، وتفكير ، وحس ، وادراك ، وبصيرة
لا يساق البشر الى العبادة ، وانما يعبدون الله في أنفسهم وفي ذواتهم يدركون الحق »

وفي الحق اني لا استطيع ان ألم بجميع ما جاء بأسفار مقدسة حوت ديناً وتعاليم يعتنقها ملايين من اخواننا الشرقيين ولا استطيع ان ألخص أسرار هذه العقائد ، لاني اخشى الزلل ، ولاني لا أجد فسحة في هذا الكتاب أوسع مما وسع لي ، ولكني استطيع ان أقرر مما اقتبست ان البراهمي رجل مؤمن بالله والوحدانية في معناها ، وفي أصولها ، وانه وان كان يعدّ شخصيته كمّا مهملاً لا عمل له ، الاّ انه يرى شخصيته كلّ شيء في العالم وانها مصدر الحركة والسكون والتفكير ، والعمل ، والادراك والقدرة ، حتى آمن بأن الله قد حل في نفسه ، وألهمه الخير ، والصواب ، والتوجيه الحق ، على انني ما قصدت بهذا الاّ ان أعرف مدى تأثير هذه العقائد السامية في أدب تاجور وفلسفته ومدرسته — ان تاجور أديب وشاعر وفيلسوف انساني

---

(١) عن النسخة الثانية Chhandogya من اليوبانيشد

(٢) عن النسخة الرابعة Aitarey من اليوبانيشد

(٣) في حديث البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . البخاري

لانه استمد عناصر الادب العالمي والفلسفة العالية من روح دينه التي توحي اليه بأن يكون خيّراً محبًّا للبشر ملهماً في حركاته وسكونه بالهام من الله سبحانه

وتاجور يعتقد ان من عرف نفسه فقد عرف الله[1] لان الله يدعونا ان نعرف أنفسنا، وان نفكر في ذواتنا، لتخرج قدرته ونؤمن بقوته . وإدراك الفرد لشخصيته هو أساس لفهم العالم، ويقول تاجور في هذا

« ان شخصيتنا هي أول حق فينا ؛ ومعرفتنا لانفسنا تعرفنا »

لان تاجور براهمي مؤمن، فهو لم يبتدع هذه الفلسفة ولكنهُ يبشر بها عن يقين ثابت في قلبه، ويخلص لها الاخلاص كله . ولهذا أثرت العقيدة في ادب تاجور تأثيراً واضحاً

وفي حدود هذه الأسس العليا تنهض مدرسة تاجور وتقوم تعاليمه، وتدعو الاتباع الى ادراك ما في النفس البشرية من أسرار، وما في الانسان من قوى متصلة بالعالم . ومحاضرات تاجور ترمي جميعها الى الوحدة الروحية. وهو يقارن بين المدنية الشرقية واصول المدنية الغربية مقارنة فريدة يرد بها كل مدنية الى اصولها فيقول :

« لقد نمت المدنية الاغريقية القديمة بين الجدر وأسوار المدينة، وكذلك نشأت المدينات الحديثة داخل المدينة، بينما قد نشأت مدنية الهند القديمة في آفاق واسعة غير محدودة، فقد نشأت في الغابات، وقد منحتها هذه الغابات السلامة والمأوى . ولهذا كان لمدنيتنا طابعها الذي تمتاز به، إنها تحيط بحياة روحية من الطبيعة نهي التي تغذيها، وتخلع عليها لباسها وروعتها ؛ وتحدد لها مدى التفكير والنظر في الاشياء التي تحيط بنا

وقد يظن ان مثل هذه الحياة المحدودة بالطبيعة تميل بالذكاء الانساني الى الركود، وتنأى به عن بواعث النجاح، وتحد من تأثيره، يخفض المستوى الفكري للحياة، ولكنا وجدنا ان الهند القديمة لم تتغلب عليها ظروف الحياة التي أوجبتها نظام الغابات، ثم يقهر تفكير الانسان، ولم يضعف نشاطه حتى ما تدعو اليه الغابة من نظر قد يكون محدوداً — ان الذي وقع هو ان الغابة قد وجهت التفكير وجهة خاصة. ولما كان على الانسان ان يكون متصلا بالنمو الحيوي للطبيعة التي حوله، أصبح عقله حراً طليقاً، غير عنيد بارغبة في أن يقيد مشكلاته ويحددها ببناء الاسوار والحدود للمدينة، ليحصر مشكلاته في حوزة هذه الاسوار. فليست رغبة الشرق في التملك والمبارزة، ولكن كانت رغبته في فهم الاشياء، وادراك حقيقتها . وتوسيع نفوذ شعوره عليها . بأن ينمو هذا الضمير نمواً متصلا بالسماع آفاق الطبيعة التي تحيط بهذا الانسان، وشعر بأن الخلق هو ادراك شامل للكائنات، وان التفرد المطلق لا يشبه شيء في الوجود . وان السبيل الوحيد الوصول الى الحق انما يأتي بوسيلة نفوسنا الى الاشياء لتدرك كنهها . ولقد كان ادراك هذا الانسجام بين روح الفرد وروح العالم هو الجهد الذي بذله حكماء الهند القديمة منذ سكنوا الغابات» (٢) (تبعت تتمة)

---

(١) ذكرت عبادة الله في ايم ايوبا بيشاد على أنه عبادة النفس باعتبارها كائناً مطلقاً لا نهاية له ولا اختيار وعلى اعتبار أن الله « براهما » هو ذلك «الكل» الذي تملك نفسية النفس والذي تدرك نشأتها ونهايتها وتغلبه والهامات جميعاً . ولهذا وجب على الانسان ان يعبدها في طمأنينة وسكون وأمن وهدى — ثم جاءت تعاليم شنكارا فسرت ماجاء في اليوبانيشاد بأنه ما دام ان الله هو الحق المتصرف في النفس الذي يهيمن على جانب منها فيجب أن على الانسان ان يدرك الله في نفسه وان يعبده من المعبودة هو وجه الله وحده باعتباره الحي القدير . (فقرة ٢٢ ص ٤٧ من كتاب Brahmanic Knowledge تأليف Barnett)

(٢) الفصل الاول من كتاب سعدهنا « علاقة الفرد بالعالم »

باب المراسلة والمناظرة

ملاحظات علمية لغوية

للامير مصطفى الشهابي

أولاً : ذكر العلامة الآب انستاس ماري الكرملي (المقتطف ، ص ٢٤٧ من عدد آذار « مارس » سنة ١٩٤٢) أنهم قسموا الحرذون قسمين : البحري او النيلي والبري او الارضي ، وقال ان اسم النيلي بلسان العلم Hydrausurus Nilotious وبالفرنسية Moniteur du Nil. والثاني Monitor terrestris وبالفرنسية Moniteur terrestre قلت: الحرذون هو بلسان العلم Agama stello . والشاميون لا يطلقون كلمة الحرذون الا على هذا الحيوان المشهور الذي يراه المرء في جميع أنحاء الشام . أما الاسماء العلمية او الفرنسية التي ذكرها الآب المحترم فهي أسماء نوعين من الورَل على ما حققهُ كثير من العلماء . ففي المعجم المصور للتاريخ الطبيعي (بالفرنسية) تأليف بيزتا Pizzetta أن Monitor du Nil هو الورل عند العرب (Ouaral des Arabes) ؛ وان Monitor terrestre : هو ورل الارض عند العرب (Ouaral el Ard des Arabes) الخ

ومن المعلوم ان Monitor له اسم ثان وهو Varan بالفرنسية و Varanus بلسان العلم . وربما كانا من ورل العربية

ولا يصحّ ما ذكره حضرة الآب الا اذا عَدَدْنا الورل والحرذون شيئاً واحداً ، على رأي عبد اللطيف البغدادي . لكنَّ الحرذون غير الورل كما ذكر الدميري في كلامه على الحرذون وكما نقل عن الجاحظ في كلامه على الورل . ثم ان شيوع كلمة الحرذون في الشام بمعنى النوع الذي ذكرته من جنس Agame لا يدع مجالاً للشك في مدلولها في أيامنا هذه

وفي المعجم الذي أشرت اليه ان ورل النيل قد يبلغ طوله مترين على حين ان الحرذون قلما يزيد قدّه على ثلاثين سنتيمتراً . وفيه ان ورل الارض هو الذي عاد ديرودوس تمساح

(د) — تحقيق النتيجة

ولتحقيق صحة الحل نعوّض هذا العدد (أي عشر دقائق) في فروض المسألة فنجد أنهُ يحقق المسألة

(١) العوامة تسير مع التيار بسرعة ٦٠ متراً في الدقيقة

(٢) الزورق السائر مع التيار نحو العوامة يجري بسرعة

١٠٠ + ٦٠ = ١٦٠ متراً في الدقيقة

(٣) الزورق السائر ضد التيار نحو العوامة يجري بسرعة

١٠٠ — ٦٠ = ٤٠ متراً في الدقيقة

(٤) الزمن الذي يستغرقه كل من الزورقين لحين ملاقاته العوامة ١٠ دقائق

(٥) تسير العوامة اذاً ٦٠ × ١٠ = ٦٠٠ متراً مع التيار لحين وصول الزورق السائر مع التيار اليها

(٦) يقطع الزورق السائر مع التيار ١٠٠٠ + ٦٠٠ = ١٦٠٠ متر لكي يصل الى العوامة

(٧) بما ان سرعة الزورق ١٦٠ متراً في الدقيقة فانهُ يقطع مسافة ١٦٠٠ متر في ١٠ دقائق كما بينا في (أ)

(٨) بعد ان تسير العوامة مع التيار مدة عشر دقائق اي بعد ان تكون قد قطعت ٦٠٠ متر فهي في نفس الوقت تسير نحو الزورق المتجه نحوها ضد التيار

(٩) المسافة الباقية من ١٠٠٠ متر بعد ١٠ دقائق تساوي ١٠٠٠ — ٦٠٠ = ٤٠٠ متر وهي المسافة التي يقطعها الزورق السائر ضد التيار لكي يصل الى العوامة

(١٠) بما ان سرعة الزورق ٤٠ متراً في الدقيقة فانهُ يقطع هذه المسافة في ١٠ دقائق كما ذكرنا سابقاً في (ب)

وهكذا نرى انهُ بعد عشر دقائق من ابتداء تحرك العوامة والزورقين يتلاقى الجميع في نقطة واحدة تبعد

(١) ٤٠٠ متر من النقطة التي بدأ منها الزورق السائر ضد التيار

(٢) ١٦٠٠ متر من النقطة التي بدأ منها الزورق السائر مع التيار

(٣) ٦٠٠ متر في اتجاه التيار من النقطة التي توضع فيها العوامة

حل هذه المسألة بعض الطلبة الذين يدرسون الجبر بالجامعة الاميركية بالقاهرة

وقد تلقينا ردوداً أخرى لم يتسع لها نطاق هذا العدد وسننشرها في عدد تالٍ ان شاء الله

على هامش القافلة المنسية

قرأت في صفحة ٣٠٥ من مقتطف مارس سنة ١٩٤٢ ، العدد الثالث من المجلد المائة كلمة على القافلة المنسية ، جعل فيها (موسى بن نصير) و (روح بن زنباع) والطبيب (موفق الدين بن شعلان (كذا)) من أبناء شرق الاردن فأرجو ان تسمحوا لي بالتنبيه على ما في هذه الكلمة من وهم

(١) ﴿موسى بن نصير﴾ ليس موسى بن نصير أردنيًا ، فأبوه نصير ممن سباهم خالد بن الوليد من (عين التمر) [١] وموسى ولد سنة ١٩ هـ في خلافة عمر بن الخطاب في (وادي القرى) في الحجاز [٢] والرجل لخمي الأصل [٣] . اذاً فنسبته الى شرقي الاردن لا تستند الى سند علمي ، ولا سيما بعد ان حدد مؤلف القافلة المنسية (شرقي الاردن) في حاشية ص ٩ تحديداً لا يمكن معه توسيع رقعة هذا القطر . قال : « ان القطر المعروف بشرقي الاردن يشمل الاراضي الواقعة شرقي خط يمتد من نقطة على خليج العقبة ، ماراً وسط وادي عربة والبحر الميت ، ونهر الاردن الى اتصال هذا النهر بنهر اليرموك ، ثم يمر الخط من منتصف النهر الثاني الى الحدود السورية ، ويعتبر هذا القطر المنسلخ من جسم الدولة العثمانية مستقلاً يحكمه زعيم بيت العرب الاعلى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله ابن الحسين المعظم » آه

اذاً فهمنا مما تقدم ان موسى بن نصير لم يكن من قطر شرقي الأردن

---

(١) راجع صفحة ١٩٢ من الكامل لابن الاثير طبعة الحكومة المصرية سنة ١٨٩٢ ، وصفحة ٥٠ من التمدن الاسلامي الجزء الرابع طبعة هذه المجلة

(٢) عن رسالة خطية من العلامة المكرمي الي ، وفي مقال للاستاذ عبد الله عنان منشور في الثقافة عدد ١٠ فبراير سنة ١٩٤٢ سطر ٤ « انه ولد في قرية من قرى الجزيرة » نقلاً عن النصري طبع وزوية المعلم الاولى صفحة ٢٠٦٤ وعثمان محمود في فتح الاندلس صفحة ٣ وابو المحاسن في النجوم الزاهرة مصر ج ١ صفحة ٢٣٥

(٣) هذا ، وراى العلامة المكرمي ، والاستاذ عبد الله عنان فيقول انه ينتسب الى بني لخم بولاء اعتمادا على ابن عبد الحكم ج ٢ صفحة ١٧٦ ، وابن الاثير طبعة لايبسك ص ٩ ، ٣ ، وفتوح البلدان للبلاذري طبع مصر صفحة ٢٣٢

(ب) ﴿روح بن زنباع﴾ توهم مؤلف القافلة المنسية ان العالم الاستاذ محمد كرد علي يقول في الجزء الأول من كتابه خطط الشام ان مساكن جذام كانت في شرقي الاردن. وهذا التوهم جره الى الخطأ، وما علم ان الاستاذ كرد علي ينقل عن الهمداني، والهمداني يذكر القبائل التي نشأت على عهده، والهمداني توفي سنة ٣٣٤ هـ على الأصح؛ فكيف يتخذ قوله هذا حجة لجعل روح بن زنباع من شرقي الاردن، قبل نزوح قبيلته جذام الى الديار الشامية بثلاثة قرون؟ وفرق هذا فقد كانت الشراة ذاتها تعتبر في أيام المأمون من جند فلسطين[1] ومساكن جذام تمتد من مدين الى مقنع[2] اذاً فروح أيضاً ليس من شرقي الاردن

(ج) ﴿موفق الدين يعقوب بن صقلاب[3]﴾ أما موفق الدين يعقوب بن صقلاب[4] فقدسي الأصل والمولد[5]. وما أدري كيف جعل من شرقي الاردن

(د) ﴿شرق الاردن﴾ — يكثر وهم الكتاب في اسم هذه البقعة شرقي الاردن، وصوابها مع ذكر ياء النسبة. كما ينطق بها اهل البلاد

اما كتاب القافلة المنسية فكثير الاوهام، وهو غير مقسم بسمة البحث العلمي ويعوزه الترتيب الذي يتطلبه فن التأليف الحديث

هذه لمحة موجزة وعسى ان يكون فيها خدمة للحقيقة والعلم

عمان شرقي الاردن روكس العزيزي

—*—

حجرة تحضير الارواح

تلقينا من الاستاذ احمد فهمي ابو الخير ردًّا مسهباً على ما كتبناه في مكتبة المقتطف عدد ابريل الماضي في موضوع هذا الكتاب ومقدمته، وموعدنا به الجزء التالي ان شاء الله

---

(١) راجع الجزء الثاني من المعجم الاسلامي

(٢) راجع خريطة المسالك العربية والمفتوحات الاسلامية وخريطة تمرق الخ في آخر المجلد الاول من الاسلام وتذكر ايضاً اسم مقنع مقنّاً ومقنو

(٣) الاسقلاب كما ورد في القافلة المنسية والاسطلاب كما ورد في عدد المقتطف (وهو خطأ مطبعي: المقتطف)

(٤) صقلاب هو العرب عن وساه الملاحة السكرملي الخطية الخ

(٥) راجع مختصر الدول لابن العبري طبع المطبعة الكاثوليكية في بيروت وقد ذكر فيه ما يدل على ان موفق الدين لا يتجاوز بلدة قص بعدد الالف والمئين

مكتبة المقتطف

أرواح وأشباح

٧٢ صفحة من القطع الكبير — مطبوعة طبعاً فنياً بالحفر والألوان في مطبعة شركة فن الطباعة بمصر والصور الزيتية بريشة الفنان محمد سليم توفي

قد تبدو ملامح كل أثر فني كبير في ومضات سريعات في آثار صاحبه قبل ان يتمّ خَلق هذا الأثر الكبير ؛ وقبل أن تأخذ الفكرة أفقها الواسع من خياله . ومن يتصفح دواوين الأستاذ علي محمود طه يجد ما يؤيد هذا القول ، فلقد ظهرت لمعاتٌ ووميضات من فكرة ملحمة « أرواح وأشباح » في قصائد أخرى له وقبل ان يتمّ بعثُ هذه الملحمة . ظهرت في قصيدته « الله والشاعر » من ديوانه « الملاّح التائه » حيث يقول :

[illegible]

وظهرت في قصيدته « هي » من ديوانه « ليالي الملاّح التائه » حيث يقول :

[illegible]

وفي قصيدته « بحيرة كومو » في هذا الديوان ايضاً حيث يقول :

[illegible]

نعم هذه ومضات من هذه الملحمة الجديدة شعَّت قبل بعثها ومهدت للفكرة الرائعة التي قدمها الاستاذ علي محمود طه للادب العربي الحديث تحفة نفيسة

وكأني بالشاعر قد سئم محيط هذا العالم بعد ان طوّف به ما طوّف وحمل شراعه من آثار الرياح والنسائم ما حمل من ذكريات عذبة ومريرة ، فخلى بينه وبين زورقه الى شاطئ وادع أمين ، وأطلق لجناحيه العنان الى سماء الخيال فطوى السبع الطباق حتى بلغ سدرة الأفق

فاحتمل بين أحضانه ثلاث حوريات من مفاتن ذلك العصر هنّ « سافو » و « تايس » و « بليتيس » حيث أجرى على لسانهنّ ملحمته

وهذه الملحمة تصويرٌ رائع للنضال الخالد بين المرأة والرجل او بمعنى أدق بين الروح والجسد، ذلك النضال الذي غابت عروقه في أعماق الاجيال الغابرة منذ ان شاء الخالق مشيئته الى أن تطوي هذا العالم ارادته ، وقد عالج الشاعر هذه الغريزة الانسانية المتأصلة في النفس بعين الفنان على قبس من علم النفس فوفّق كل التوفيق واستطاع ان يجعل من هذه الملحمة معرضاً شائقاً من معارض الفن والجمال

فها نحن نصعّد معه في قمة الزمان الغابر حتى نوفي على عالم « حوى الروح قبل الوجود » وفيما نحنُ ملحوظون بمشاهد هذا العالم يمرُّ روحٌ جميل هو فنان آذنتهُ الكلمة بالبعث في عالم الارض ، وقد صحبهُ هرميس ملك الوحي حتى يجوز به أقطار السماء فيمران في طريقهما بحوريات الظلتنَ في سمرهنّ ، في انتظار بعثهنّ . هنّ الثلاث الفاتنات اللاتي ذكرناهنّ منذ حين ، فيدور بينهنّ حديث لم نلبث منهُ ان نرى الغيرة والغضب متجليين فيه ونرى تايس تحاول ان تدافع عن هذا الروح الجميل الذي « سيسلكه الفن فيمن سلك » ، ونرى بليتيس ثائرة تقدم لصاحبتها المدافعة كتاباً تقرأ فيهِ قصيدة هذا الشاعر عن الحية الخالدة صوّر فيها كيف أغوت هذه الحية الفنان فهوى من علمائه فلنستمع اليهِ معهن فهي من روائع الشعر:

أرى . . ما أرى ؟ جسداً عاريا تتسع به الشهوة الجائعه
أرى . . ما أرى ؟ حدق ساحر تؤجج بالنظرة الرائعه
أرى . . ما أرى ؟ شفتي غادة ترد ن بالقبلة الخالده
أرى حية الجنة الخالده ؟ ما أرى ! قطعي نمراً
بعينك أنت ، فذا تذكري صنات أنوثتك الشاهده
تجددت في صور بائد تقمص شتى جسوم وكم
أرى الكل في امرأة واحده ما أرى . . . نعم أنت هن
وما أنت آنيا الخالده ! لقد فنيت فيك أرواحهن

الى أن يصرخ فيها

أرى . . ما أرى ؟ طفلة بين أنثم رائحة الجسد تعبق
فيالك أفعى تسربلت وبين من أفعوانات زرق

وما تزال بليتيس تؤجج نار الثورة على هذا الروح العابر بهنّ في صحبة ملك الوحي حتى تتساءل سافو عن صنات هذا الذي شغلهنّ وأثارهنّ فتجيبها بليتيس :

هي وجهه من شرقه لا يبت وجهه الحكمة الغر ين
أنا هو وطلاب المستحيل ولكنه لا أدري ان
لا أدري ان ت ن
ن ض من ين جموح فيصعده حتم فيصعدين

ثم نرى الثورة تتطور في نفس بلقيس الى رغبة ملحة في الهبوط الى الارض لتنتقم من أهلها وتنضم سافو الى رأيها ولكن تايس تخالفها في ذلك وتهتف بهما :

فيور انهما حدر الوقوع على معذب في الثرى أو هتيم

ثم يطالعنا الشاعر بتحليل دقيق لطباع المرأة واطلاقها أجنحة سلطانها على عالم الرجل وكيدها العظيم، في ذلك الحوار الجميل بين الحسان الثلاث في دنيا النساء حتى يعود الحديث بهن الى الشاعر ونرى بلقيس تقول :

وددت لو أني في إثره درجت على الارض في الراجين

ونراها تتمنى ان تكون لها وثبات الخيال لتصير الشاعر « مثلة في الحياة وسخرية البعث في الآخرة » حتى اذا سألها تايس عن طريقها الى بلوغ غايتها فيما تتمنى انطلقت تصف كيف تطلق أفاعي الشهوة لتعنصر جسد الضحية ، ونرى بعد حوار قصير عن الحياة وآلامها ، سافو وتايس تهتفان بزميلتهما بصوت واحد :

الى الارض وتتني النساء وتحوني بنا محنة الرجال

ثم نرى الملك وقد عاد بعد ان ودّع الفنان على أفق الارض فيمرّ في طريقه بالحوريات الثلاث فيدهشه ما يرى في وجوههن من علائم الغضب حتى اذا كاشفنه بسر هذا الغضب بدأ يسري عنهن ، ويعتذر عن هذا الفتى الذي رآهن بقلبه وان لم ينظر اليهن بعينه ، ويصف طهر الفنان أجل وصف، وفي الحقيقة ان المقطوعات الثلاث : ابن السماء والفنان الاول والفنان الاعمى ، التي تحدث بها ملك الوحي هي من عيون هذه الملحمة . وما يزال بهن حتى يستدر الحنان للفنان من قلوبهن اذ صوّره لهن « ملكاً ناقماً على آدميته الجائرة » حتى اذا آنس فيهن الرضى نادى الشاعر من وراء الافق فاذا به يجيب النداء ويردّ على ما اتهمته به الحوريات من البغض لحوّاء فيدفع عن نفسه هذه التهمة بأروع آيات الشعر وقد بلغ الاستاذ علي طه في مقطوعة « حوّاء » القمة . فاذا دعت الحوريات الشاعر للظهور أحسّ ان عالم الارض قد شدّه اليه بوثاقه ووجد ان الروح الهائم المجرد أصبح له جسد يربطه بعالمه الجديد

وفي الختام نرى ملك الوحي وقد وقف مشدوهاً عند ما انشقت غمامة عن الشاعر وهو في موقف اضطراب فدعا الحوريات الى ان يقبّلن الجبهة التي هزأن بها بل يدعوهن الى ان لا ينظرن الى طيف الشاعر وانما ينظرن الى روحه فتجيبه احداهن بأن ليس الرجل روح ولكنه المحيا والعنان الساحران فترد عليها الاخرى بأن الرجل هو السبط القوام الذي تستدرج ذراعاه الخصور وتروي شفتيه حديث الغرام . . . يقف الملك امام هذا المشهد مشدوهاً فيهتف قائلاً :

أني هذا يروح تنشر الظنون ويخنق روح بهذا الكلم ؟
أسائل نفسي : أشيطانة توسوس لي أم ملاك أتم
له الشك أدنى بالصراع أم حل بي غضب المنتقم

فيجيبه صوت السماء في موج من الانغام الشجية :

بل ابنة آدميون النداة فلا تنعتن ولا تهم

فيودع الشاعر ويأخذ طريقه في السماء ويترك الشاعر في حيرة وذهول ملوّحاً بيده اشارة الوداع والحوريات ينظرنَ اليهِ في عطف وابتسام

هذه هي ملحمة « أرواح وأشباح » التي أخرجها صاحب «كاس الخيام» وغيرها من الروائع التي اضافت الى الأدب العربي الحديث ثروة نفيسة ، وان اخراج ديوان قاصر على فكرة واحدة في غرض بعيد عما الف الناس في دواوين الشعر لدليلٌ على اتجاه جيد من الشعراء نحو الفن الخالص ، واقبال القراء على الاستمتاع بهذا اللون من الادب لدليلٌ على تقدم الذوق الادبي

واني اذ أهنىء صديقي الشاعر على هذا الاثر الرائع أهنىء الأدب الرفيع بهذه النحلة العالية

حسن كامل الصيرفي

مأساة فرنسا

تأليف الاستاذ احمد الصاوي محمد — ١٩٣ صفحة قطع وسط

لعلّ « مأساة فرنسا » كانت أبعث فواجع هذه الحرب على الفجيعة . فهنا دولة كانت تعد دولة عسكرية في القام الاول ، تنهار قوتها العسكرية كأنها قصر من الورق ، بعد معركة لاتدوم في مجملها سوى خمسة أسابيع ، وان كان وجه الهزيمة فيها قد سفر بعد الاسبوع الاول . وهنا دولة كان لها في التمدين الاوربي ، القائم على مبدإ العقل الحرّ ، منزلة لا تفوقها منزلة حتى لكان يصح عليها قول من قال : لكل منقف وطنان ، وطنهُ وفرنسا . ولكنها مع ذلك لاتطمح في ظلّ حكومة فيشي إلاّ الى التعاون مع المانيا في ظل النظام الجديد القائم على مبدإ شعب الاسياد ، وتقييد الفكر ، وتقويم القانون والقضاء بمصلحة الفئة الحاكمة

فكيف هدت فرنسا الى هذا الحضيض العسكري والثقافي والسياسي ؟ وما بواعث هذا التعفن القومي الذي جعلها ازاء عدوتها الشرقية كقفاعة الصابون لا يكاد يمسها رأس دبوس حتى تتلاشى .

هنا في هذا الكتاب تجد طائفة من « الوثائق » التي كتبها شهود العيان من فرنسيين وغير فرنسيين استخلصها الاستاذ الصاوي من كتب وصحف وضمّ اليها ما شاهده بنفسه . واذا لم يكن هذا الكتاب تاريخاً ، ففصوله مادة لتاريخ مأساة فرنسا ، في الحرب العالمية الثانية .

وقد نفخ في الوثائق حياة، بأسلوبه الحيّ وروحه الخفيفة فحقق قول ريتان الذي اتخذه شعاراً: « الوثائق أداة خرساء في يد من لا يعرف كيف يحييها وينفخ روحه فيها » . وقد وصف بقلمه هذه الوثائق فقال : « هذه الوثائق يمكن مع التسامح ان تعد شبه دائرة معارف شائقة لهذه الحرب ، تشمل الحوادث الطريفة والاسرار الخفية ، التي لا تنشرها الصحف من حربية وسياسية واقتصادية ونفسية ، الى اعمال الجاسوسية والدسائس والمنافع والفتن التي تهدم البلدان من الداخل . . . » . والواقع ان ما تنطوي عليه من حقائق وغرائب ونصائح أغرى بالمطالعة من كتب الروايات المتخيلة ، وكثيراً ما تكون الوقائع أغرب من الخيال

ونحن ندرك ما عاناه الاستاذ الصاوي من الجهد في استخلاص هذه الفصول من شتى المؤلفات . وكثيراً ما كنا نراه في المكتبة يتخير المؤلفات الجديدة ويوفي ثمنها الفاحش، ثم يطلع على القرّاء بزبدة ما قرأ

وهذا الكتاب هو الحلقة الاولى من سلسلة تجمع حلقاتها التالية بين السياسة والحرب والأدب . اما إخراج الكتاب ففوق كل ثناء

رنات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

ج ٣ — ١٦٠ ص من القطع المتوسط — بيروت ١٩٣٩

أشهد ان كتاباً لا يفارقني إن أنا رحلت ولا يبعد عن متناول يدي اذا أنا أقمت . ألا هو كتاب « رنات المثالث والمثاني » في جزأين . اهتديت اليه لعشرين سنة خلت وأنا أقرأ قراءتي الأولى . فأخذني أسلوب أبي الفرج ؛ وسحرني ما اجتمع تحت قلمه من جزالة وسهولة وسلاسة ونصاعة وعذوبة ورصانة . وما زال الكتاب رفيقي حتى بعد قراءة العشرين جزءاً . وذلك ان الروايات فيه مختارة على أحسن وجه وألطف ذوق : الزوائد مطّرحة ، والمكررات منبوذة ، والمعلقات متروكة ، والشعر بمقدار

أجل قد أصاب الأب انطون صالحاني وأحسن في اخراج جزء ثالث يشتمل على روايات أخرى أدبية تحبب لفتنا الجميلة الشريفة الى الناشئة وتدربهم على صنعة التأليف وتقرّبهم الى السلامة في التعبير والحذق في السياق . وهذا الجزء دون الجزأين السابقين في طول الروايات ووفرة الشعر ، وفوقهما من جهة استخراج المغزى الأدبي واستنباط النكتة الفنية . ومن هذا الكتيّب لمن الأيادي التي تتخذها المطبعة الكاثوليكية ببيروت عند طلاب الأدب العربي الخالص .

ب . ف .

٨٩ شهراً في المنفى

محمود حسني العرابي — ١٤١ص من القطع الصغير — القاهرة ١٩٤٢

هذا لون لا يكاد أدبنا يعرفه : يعرض رجل شطراً من حياته وينشره بين يديك سافراً فلا يحاول الاخفاء ولا يعمد إلى التجميل ثم لا يرغب اليك أن تواسي أو أن تعجب . انما هو يُسِرُّ اليك في يسر ما أقعده وأقامه تسعة وثمانين شهراً في المنفى

وهذا الكتاب مما تقبل عليه ولا تتركه قبل أن تتمه ، وذلك بفضل الصدق المنبث بين السطور إلى جنب الحوادث التي تتوالى على إيقاع متكسر ، متحنٍ : حب عنيف ، ونضال حيوي ، ومغامرات سياسية وأدبية الى غير ذلك مما يصدم رجلاً يريد أن يعيش على رغم حظه الضائع ورغم المجتمع القاسي

وبعض الفصول غاية في الطرافة. مثال ذلك فصل اشتغال المؤلف بالتمثيل السينمائي وإخفاقه وبأسه ، ثم فصل « في دار شفرين » ، ففيه من الغرابة الانسانية الشيء الكثير والمفيد : تصوّر سيدة المانية مترفة تعول أديباً شيخاً بأن تقدم له السكن والمأكل والملبس على ان يصنع لها قصائد مدح في الأعياد والمناسبات ، ويشكرها صنيعها في الصباح والمساء ، ويصحبها الى المسارح وقاعات الموسيقى والمحاضرات . وانك لتخرج من هذا الكتاب اللطيف وقد استعرضت امواجاً من الحياة الجياشة ، وألواناً من دقائق النفس ، وأغراضاً في صدور البشر . وربما آمنت أن الرجل القوي المصرّ يستطيع أن يقف في وجه القدر العابث

ويحلو لي أن أدعو الى قراءة هذا الكتاب المتواضع شكلاً وموضوعاً وأسلوباً ، وان أخبر مؤلفه الأستاذ الكاتب محمود حسني العرابي أن هذا الشطر من حياته الصاخبة أخذني وأثر في نفسي

ب . ف .

« المشرق » ج ٣ ، يوليه — سبتمبر ١٩٤١

من مظاهر النشاط المفيد ان تواصل مجلة من نمط «المشرق» الخروج بالرغم من مصاعب الطباعة والنشر في هذه الأيام . فقد وصلنا العدد الأخير وفيه دراستان علمية وتاريخية . أما الاولى فموضوعها « الأرض والأعمال الزراعية في لبنان وسورية في العهد اليوناني ، الروماني » بقلم الأب رينه موتّرد Mouterde مدير معهد الآداب الشرقية . وأما الثانية فموضوعها : « المساجد والشاعر في العصر الجاهلي » وهي من آثار الأب لامنس كان قد نشرها باللغة الفرنسية من سنين ، فرأت المجلة ان تذيعها منقولة الى العربية — هذا وكلتا الدراستين مما يقوم على الوثائق والوقائع

ويلي هاتين الدراستين بحث مستفيض نافع حيوي في « مستقبل لبنان وتطوره » وهو

خلاصة « الاسبوع الاجتماعي الثاني » الذي انعقد في بيروت في ٢٧ ابريل ١٩٤١ . ويشتمل هذا البحث شؤوناً متفرقة هي : « التعليم كما يريد ان يكون » بقلم سامي الشماس ، « التعليم كما هو » بقلم شكري القرداحي ، « الكتب والملون والمناهج الدراسية » بقلم فؤاد افرام البستاني

ويلي ذلك استطلاع euquiry طريف عن « مظاهر الثقافة الفنية » في لبنان ، فقد عهدت « المشرق » الى فريق من ذوي الاختصاص في تدوين مظاهر الثقافة في لبنان من تصوير وموسيقى وراديو . وهذا الاستطلاع مما لا بد منهُ لتتبع التطور الذهني في أمة آخذة بالحضارة المستحدثة

ب . ف

ذكرى فقيدة الادب النابغة مي

١٠٤ صفحة من القطع الكبير . المطبعة العصرية بمصر

زعامة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي للنهضة النسائية في مصر زعامة قائمة على أسس راسخة من قوة الشخصية ، والاخلاص في العقيدة ، والايمان بالمبدإ ، والتضحية من أجل الغاية السامية التي حملت رسالتها ونهضت بواجبها . والزعامة التي تقوم على هذه الاسس مجتمعة كفيلة بنجاح الغاية التي تسعى من أجلها وتسهر عليها . فلا عجب اذا وجدنا لجهود هدى هانم الأثر الطيب والثمر الناضج ، ورأينا الاعجاب الخالص والتقدير السامي لهذه الجهود

ولقد كان من مظاهر تفاني هذه السيدة الجليلة في خدمة المرأة ورفع شأنها تلك الحفلة الرائعة التي شهدتها القاهرة منذ أشهر ، وهي من وحي هدى هانم أقامتها تاييناً لمفخرة الشرق في بناته : فقيدة الادب النابغة « مي » ... فلقد استطاعت هدى هانم أن تحيي روح الفقيدة أكرم تحية ، وأن تكرّم الادب العربي في هذا الحفل العظيم أرفع تكريم ، ورهنت بذلك على أن زعامتها جناحين كريمين ينشران ظلهما على نهضة المرأة ونهضة الادب

ولم تكتف هدى هانم باقامة الحفل الذي ضمّ بين خطبائه قادة الرأي والفكر في مصر بل تولت طبع الخطب والقصائد التي القيت في هذا الحفل وضمت اليها مراثي الادباء والشعراء وأقوال الصحف المحلية ونشرتها للناس وفاءً لذكرى الفقيدة . وقدمتها الى روحها بهذه الكلمة الكريمة

« مي : — هذه مجموعة نادرة من أزاهير الادب العربي التي أحببته وترعرعت بين روضه تلك التي سقيتِ بسلسال المذب تارة بدموع عينك وأخرى بدماء قلبك فنما وينع فيها غرسك الرائع

« هذه الورود يا مي شمها عطوفة وشعراؤه وأدباؤه تحية لروحك وتمجيداً لذكراك . فاجمعيها واشمي منها هذا الاكليل البهر ليبقى رمز تقديرهم لعبقك ورقيم لهيك ، أهديه لروحك الخالدة

هذه هي التحية الكريمة التي حيت بها روحَ نابغة الشرق العربي زعيمةُ نسائه فنعم هذه التحية . واذا كان واجباً على المرأة المصرية أن تشكر لهدى هانم جهودها من أجلها فان على الادب أن يرد الى عصمتها هذه التحية بأكرم منها ، مدَّ الله في حياتها الصيرفي

وعلى هذا الأساس لا نعد البلاد الكبيرة في القارة الاوربية — فيما عدا بلاد السوفيت — بلاداً ديمقراطية بالمعنى الصحيح الصادق الكامل لأن الشطر الأكبر من ثروة هذه البلاد يستأثر به نفر ضئيل من الاهلين بينما المنتجون الحقيقيون لهذه الثروة وهم السواد الأعظم من السكان محرومون كدّ أيديهم وثمرات أذهانهم

إنما الديمقراطية الصحيحة الصادقة تجدونها في البلاد الشمالية كالسويد والنروج والدنمارك. أو في بلاد صغيرة كسويسرا. أو في بلاد حديثة من جامعة الأمم الانكليزية كاستراليا ونيوزيلندا. في جميع هذه البلاد لم تتكون طبقات جديدة ورثت طبقات الأشراف والاكليروس وغيرها من الطبقات في امتيازاتها كما هو الحال في انكلترا وغيرها من بلدان القارتين القديمة والحديثة. ولم تستأثر طبقات بالمال والثراء والسلطان تستعمله في استغلال ما دونها من الطبقات. بل عمت الثروة الأفراد، وتقاربت الطبقات إن لم تزل، واتجهت الأموال العامة الى مصلحة المجموع

إذن ما هي المقاييس الاولية التي تكوّن الحد الأدنى للديمقراطية الصحيحة الصادقة؟ إنها على الاقل ثلاثة

الاول: أن تتوافر في البلاد الحريات العامة والخاصة وبمعنى آخر أن تتوافر الديمقراطية السياسية

الثاني: أن تضيق ما أمكن مسافة البعد في الثروة بين الغني والفقير

الثالث: ان تجبى الضرائب بالعدل وان يوجه صرفها في مصلحة المجموع

إن هذه الشروط مجتمعة تكوّن أفل درجات الديمقراطية. وهي في إجتماعها تتفاوت «سعة وعمقاً»، وتتفاوت التصاقاً ورسوخاً: فديمقراطية بلدان اوربا الشمالية تختلف عن ديمقراطية البلاد السوفيتية. وديمقراطية البلاد السوفيتية تختلف عن ديمقراطية بلاد استراليا ونيوزيلندا. واذا قلنا إن انكلترا والولايات المتحدة بلدان ديمقراطيان، فهذا على سبيل التجاوز باعتبار أن تمتعهما بالديمقراطية السياسية والخلقية والاجتماعية قد يؤهلهما الى التطور السريع في سبيل الديمقراطية الاقتصادية وتحقيقها بأقصد ما يكون من الجهد

وتمتاز ديمقراطية البلدان الصغيرة في اوربا الشمالية والوسطى بانها إحتفظت بالنظام الرأسمالي في رفق وإعتدال وجردته في الوقت نفسه من مساوئه وغلوائه

قد يبدو هذا الأمر مستحيلاً ولكن المعروف أن أهل السويد والنروج والدنمارك وسويسرا ينعمهم الرضوان بما هم فيه من خير ونعمة ويسر ورفه ولا يقف امتياز طبقة او حواجز قانون دون رقي جماعتهم وأفرادهم ودون تقدم بلادهم في لين وسهولة، باطراد من غير إضطراب، دون عنف ولا مقاومة ولا إنتفاض كما حصل في بلاد أخرى

في هذه البلاد الصغيرة قد نجد من أهلها من يمتلكون سيارة ومعطفين، ولكننا لا نجد

فيها من لا يمتلك عجلة ومطحناً . في هذه البلاد يملك معظم الفلاحين حقله يحيط بمنزله ويحوي أدوات زراعته وبهائمه . وفيها لا نجد فرقاً كبيراً بين صاحب الملك وعماله الذين يعيشون معه عيشة متساوية . ثم أن التفاوت بين كبار الموظفين وصغارهم ليس كبيراً كما هو الحال في البلاد الرأسمالية الكبيرة التي تقلدها بلادنا في مساوئها مع الأسف

إن الثروة في تلك البلاد الصغيرة موزعة توزيعاً متعادلاً ، ليس فيها أثر للغنى الفاحش ولا للفقر المدقع . وفيها الرخاء يصيب جميع الافراد وينتشر في جميع الصفوف ، دافعاً بالمجموع إلى الانشاء والتعمير مما يحفظ مستوى الحياة رفيعاً ، ويوفر الحياة الهنية السعيدة الراقية لجميع الافراد والمجموع . فاذا ما ظهر مشروع اقتصادي مالي أو صناعي او عمراني ساهم فيه الجميع وعاد بالخير على الجميع ، لا يستأثر به نفر محدود يتحكمون فيه أو ينتفعون منه وحدهم ذلك لأن رأس المال القومي — ولو كان قليلاً فيما يصيب الافراد فرداً فرداً — فهو ضخم هائل اذا حسبناه متجمعاً في هذه البلاد التي توصف بحق بأنها بلاد غنية ذات رخاء وثراء

وهناك نوع آخر من الديمقراطية يتوافر فيها العدل الاجتماعي ، ويتسع فيها استغلال الفرد حيث تعطى الدولة والجماعات التعاونية الشأن الاول في الانتاج ، كما هي الحالة في البلاد السويسرية وفي استراليا ونيوزيلندا . ولقد يتسع هذا النوع من الديمقراطية لوجود الملكية الصغيرة ، زراعية كانت او صناعية بشرط أن لا تكون نتيجة هذه الملكية استغلال العمل ومصادرة أرباحه

وليس هنا مجال الكلام عن الديمقراطيتين الاميركية والانكليزية ففيهما تتمثل الرأسمالية الا انه في الواقع بدأت الرأسمالية تقلل كثيراً من جشعها وغلوائها . فقد شعر رأس المال في النهاية بأنه متضامن مع العمال وبأن مصلحته في التعاون معهم . وقد ازداد هذا الشعور قوة وبدأ العمال يتحررون شيئاً فشيئاً من رقبة رأس المال فاتخذوا مكاناً محترماً في ادارة الأعمال ونصيباً عدلاً في الأرباح على ما بيناه في القسم الثاني من هذا البحث

أما ديمقراطية الحزب الديمقراطي المصري فهي تختلف في جوهرها عن الديمقراطيات السابقة ويغلب على ظني ان الحزب أراد نوعاً آخر من الديمقراطية وكز أصوله على أساس الملاحظات التاريخية مما يبدو من تطور العلم والاقتصاد معاً ، كما سنراه فيما بعد

لقد شارك الحزب الديمقراطي المصري بعض الديمقراطيات التي سبق بيانها في الابتعاد عن حركات الانتقاض وعناصر الثورة . ومن هذا الوجه كان الحزب محافظاً شديد المحافظة ، عدواً لكل انقلاب . فهو لم يضع في برنامجه المطالبة بمصادرة الأراضي الزراعية او على الأقل مصادرة شطر منها لتوزيعه على الافراد كما فعلت معظم دول اوربا الوسطى . ولم يطالب بمصادرة بعض

رؤوس الأموال الصناعية أو المعدنية لجعلها ملكاً للدولة او لاستغلالها بمعرفة النقابات . كما انه لم يطالب بالتقنين للحد من الملكيات الكبيرة ولنشر الملكيات الصغيرة ولتنمية الوظائف الاقتصادية للدولة على الاقل في الميادين التي يحتاج استغلالها الى نوع من الاحتكار

ولكن الحزب ظهر انه مجدد حقاً ، مبتكر لنوع طريف من الديمقراطية الاقتصادية لم يفكر فيها ولم ينادِ به قبله أحد من الاحزاب السياسية أو من الكتّاب والمفكرين وأهل الرأي في الاجتماع ، إذ طالب « بتنمية الثروة العامة وجعلها بحيث ينتفع بها الجميع جميعاً بقدر الامكان » و بتعبير آخر طالب الحزب بأن يكون حظ جميع السكان في الانتفاع بثروة البلاد عن طريق تنمية الثروة العامة تنمية قد تطغو خيراتها في النهاية على الجميع فينعم بها الجميع كما ننعم الآن بالخيرات التي لا يطمع في امتلاكها أحد لأنها في متناول الجميع

ولا غرابة في ذلك فلقد بدأت الخيرات تزداد في العالم زيادة مطردة بفضل الكشف العلمي وتقدم وسائل الصناعة . فلقد زادت القوى المحركة زيادة لم يكن يحلم بها أحد ، من اليوم الذي اكتشف فيه البخار محركاً للآلات . فانقلبت اوضاع الصناعة ثم ازدادت قواها المحركة باكتشاف النفط ومشتقاته المختلفة

ولقد انطلق عنان القوى المحركة باكتشاف الدينامو الذي ساعد الانسان على نزع القوى من منحدرات المياه ونقلها الى مسافات بعيدة . ولا يستطيع الانسان ان يتكهن اليوم بهول القوى التي سيسخرها في منشآته متى سيطر على المكنون من القوى في الالكترون حيث يقولون ان الكامن منها في هذا الجزء الضئيل غير المحسوس ولا المنظور من المادة قد يهدم بلداً كالقاهرة . فيا لسعادة الانسان يوم يستطيع تسخير هذه القوى في الانتاج ، واذن ستغمر خيراته الانسان وستصبح في متناوله كالماء والنور والهواء ! ....

فلا غرابة إذن في أن ينادي اليوم نفرٌ من الكتاب والمفكرين الاقتصاديين بهذا النوع من الديمقراطية الاقتصادية الذي كشف عنه الحزب الديمقراطي المصري سنة ١٩١٩

لاحظ هؤلاء الاقتصاديون بمناسبة نشوب الأزمة العالمية عام ١٩٢٩ ان هذه الأزمة لم تنتج من نقص في المنتجات الزراعية او الصناعية . فقد كانت الخيرات تعم العالم ولكن كلما زادت هذه الخيرات ، قلّ تناول الناس لها استهلاكاً فوقف التبادل بينهم بيعاً وشراء ووقعت كارثة الأزمة العالمية الكبرى

ولقد تأثر هؤلاء الاقتصاديون بمنظر المنتجين الذين اضطروا ليس فقط الى الحد من انتاجهم باتفاقات فيما بينهم او بواسطة قوانين أصدرتها دولهم ولكن أيضاً اضطر هؤلاء المنتجون الى اعدام منتجاتهم بالاحراق والاغراق كما فعلوا في الغلال والبن والسمك المصطاد

او بتحويلها الى صناعات واطية كما فعلوا في الانبذة ، فعلوا كل هذه الجناءات بينما يتضور الشطر الاكبر من سكان الارض جوعاً وعرياً وحرماناً

تأثر هؤلاء الاقتصاديون بهذا المنظر البائس الشاذ وتساءلوا ماذا أصاب عقل الانسان ؟ ! أليس إعدام المنتجات وإغراق الثروات وحرق القنطيات التي يحتاج اليها العالم أعمال حماقة إن لم تكن تخاريف مجانين ؟ ! ... أليست زيادة الانتاج أمراً طبيعياً ، ناجماً عن تقدم الكشف العلمي وتحسين وسائل الفن ، مما يجب تشجيعه وتنشيطه ما دام العالم محروماً من الخيرات وفي حاجة ملحة الى الاستهلاك ؟ ! ...

إنهُ لمن الواجب مسايرة الكشف العلمي والاستفادة من القوات الهائلة التي يضعها العلم تحت تصرف الانسان . من الواجب الاستفادة ما أمكن من الطبيعة وتسخيرها وابتزاز خيراتها وجعلها في متناول الجميع ينعمون بالانتفاع بها حتى تزول الحاجة ويزول الحرمان من الناس — والحل الاقتصادي الوحيد هو التنظيم لاعداد الناس لاستقبال عهد الرخاء بزيادة مقدرتهم على الاستهلاك

هذا هو الحل الذي أراده الحزب الديمقراطي المصري من قوله «تنمية ثروة البلاد وجعلها بحيث ينتفع بها السكان جميعاً بقدر الامكان » . تلك الفقرة التي قررها الحزب في يوم صفاء ذهن وبعد نظر ، دون سابق علم بأنهُ سيقوم ، بعد عشر سنوات من تاريخ اقراره لهذه الفقرة ، اقتصاديون فطاحل وكتّاب عالميون يرون رأيه ، وينادون بمذهبه

لقد خلق الحزب على هذا النحو نوعاً سامياً من الديمقراطية الاقتصادية ، أي من الاشتراكية السمحاء بعيدة عن حرب الطبقات وعن الطفرة والعدوان ومصادرة الاموال ، تعجز الناس بالخيرات . وتستند في ذلك الى ما أثبتهُ التاريخ من تسخير قوى الطبيعة للانسان فازداد الانتاج زيادة كبيرة أدت الى أزمة الفقر والخراب التي منينا بها وكان من الواجب ان تؤدي الى عكس ذلك ، الى اليسر والرواج بفضل ما نراه من ضرورة التنظيم الديمقراطي الاشتراكي في الدولة الحديثة

القسم الثاني : في الديمقراطية الاقتصادية

من حيث نموها وتطورها

لقد بينا فيما سبق ان الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية شيئان مختلفان غير مرتبطة احداهما بالاخرى . قد لا تظهران معاً وقد لا تسيران معاً وقد تتعارض احداهما مع الاخرى ، بينما يتحتم انسجامهما لتصدق الديمقراطية وتكتمل عناصرها

كيف ظهرت الديمقراطيتان السياسية والاقتصادية متناقضتين وكيف عولج هذا التناقض او بعبارة أخرى كيف عرضت للعالم مشكلاته الاقتصادية وكيف ساد رأس المال العمل بعد ان تقررت المساواة بين الافراد واستتبت الديمقراطية السياسية ؟

إن العهد الذي نأخذه أساساً لاستتباب الديمقراطية السياسية في العالم هو عهد الثورة الفرنسية ، حيث ظهرت فيه الديمقراطية لأول مرة على نمط انساني بحت باعتبارها حقاً مشاعاً لجميع الأمم والافراد ، لا تختص به دولة دون أخرى ولا تستأثر به جماعة دون باقي الجماعات

والشيء العجيب المدهش في الثورة الفرنسية انهُ بينما قررت الديمقراطية السياسية الصحيحة حررت الافراد من قيود العبودية وهدمت امتيازات الطبقات وجردتهم من السلطان، خلقت في الوقت نفسه مبادىء الاستعباد الاقتصادي . ويخيل الى الباحث ان أثر الديمقراطية السياسية في الحياة الاقتصادية وبال ورجوع الى الوراء إذ أوجدت في العالم ما هو شر من القيود والسلاسل التي كان يرسف فيها الناس ، أوجدت الفقر والجوع والحرمان وعزلت الفرد عن جماعته التي كانت تتولى سنده وحمايته

لقد تمَّ هذا الأمر غير المنتظر بسبب ان الثورة الفرنسية قد قالت في تطبيقها مبدأين تأسست عليهما :

المبدأ الاول : «الفردية المطلقة» بمعنى أنها لا تعترف بالكيان الحقيقي الاَّ للفرد وحده. فما الدولة الاَّ مجموعة من الافراد . وما سلطان الشعب الاَّ امتداد لسلطان الافراد ، وليس بين الدولة والافراد مكان لكائن من الكائنات؛ فهدمت طبقة الاشراف والكهنوت وهدمت جماعات العمال واصحاب الاعمال وجردتهم جميعاً من كل سلطان وامتياز

المبدأ الثاني : الحرية المطلقة » والحرية ليست سياسية فقط كحرية الرأي والدين والعبادة ، وحرية القول والنشر والاجتماع ، ولكنها اقتصادية أيضاً كحرية العمل وفتح المتاجر واكتراء العمال بأجور الجوع

و الفردية والحرية » كلاهما خير ونعمة . الاَّ أنهما شرٌّ ونقمة اذا ما أسيء استعمالها . فالفردية اذا ما تجاوزت حدودها أنتجت التفكك وحرمت الفرد من الحماية الفعالة التي كان يتمتع بها كعضو في جماعة . كذلك الحال بالقياس الى الحرية فاذا ما أطلقت من عقالها كانت الفوضى إثرها تترك القوي يستبيح حق الضعيف ، وتترك الخبيث يتلاعب بالنزيه ، وتترك الجشع يستأثر بجهد العامل صاحب الحق في انتاجه . تقترف هذه الآثام على مشهد من الجميع يطرقون في عجز وألم الى الثروات الطائلة ذات الرائحة الكريهة تنمي صروحها على اطلال الفاقة والخراب العام

لقد عانى القرن التاسع عشر كله ، ولا تزال الانسانية تعاني شؤماً وارتباكاً وتعساً وشقاء بسبب المغالاة في تقديم الفردية والمغالاة في اطلاق الحرية. ومهما نسع في معالجة أحوال هذه المشكلات فيكاد اليأس يأخذ بخناقنا لأننا لا نزال نحمل تركة الماضي المثقلة بالمشكلات والصعاب

كيف تراكمت جميع هذه المشكلات على الانسانية ؟ نختصر الاجابة عن هذا السؤال بأن الانسانية اجتازت اولاً مرحلة طويلة ، ساد فيها نظام الطوائف وساد فيه السلام الاجتماعي فتحقق به التوازن الاقتصادي بين العمال وأصحاب الاعمال وبين المنتجين والمستهلكين الى ان استنبطت الآلات الميكانيكية وقامت الصناعات الكبيرة فظهر ان نظام الطوائف عاجز عن ان يواجه حاجاتها ، بل كان معطلاً لها لا يسايرها في طريق التقدم . ولذلك اضطرت الحكومات الى هدم نظام الطوائف بل تركت الأمور الاقتصادية للافراد يتصرفون فيها وحدهم بحسب مصالحهم او أهوائهم دون ان تحل محله نظاماً آخر . فسادت الفوضى وساد الاضطراب الى ان أرغمت الحكومات اخيراً على اتخاذ مقومات للحد من فوضى الحرية والفردية وتفصيلاً لكل ذلك نقسم بياننا الى الابحاث الآتية :

البحث الاول : نظام الطوائف فضائله وعيوبه

البحث الثاني : هدم نظام الطوائف وظهور الرأسمالية في جبروت مستغلة العمال

البحث الثالث : الحد من تهور الرأسمالية وافتتاح عهد الديمقراطية الاقتصادية

البحث الاول : نظام الطوائف
عيوبه وفضائله

قبيل الثورة الفرنسية كان النظام الاقتصادي السائد في أوربا كلها نظاماً مناقضاً لمبدئي الفردية والحرية . ومعنى ذلك ان الانتاج لم يكن حرًّا ، وان العمل لم يكن حرًّا . بل كان يستأثر بهما طوائف تجمع كل طائفة منها المشتغلين بمهنة واحدة يحتكرون الانتاج

ولقد شاع نظام الطوائف طوال القرون الوسطى في أوربا وفي آسيا وشمال أفريقيا وفي مصر ايضاً، ولا يزال بعض أحياء القاهرة يحمل للآن أسماء هذه الطوائف كالنحاسين والطالين والسقائين والخمية والمقربلين والعقادين والبانة وسوق السلاح والصاغة

والفكرة الاساسية لنظام الطوائف ان يتجمع أهل كل حرفة او مهنة في هيئة واحدة تشمل المشتغلين بها عمالاً وأصحاب أعمال

وكان لكل طائفة إحتكار مهنتها ، بمعنى أنه لا يجوز لفرد ان يشتغل بعمل من أعمال

مهنة او حرفة ما الاّ اذا كان مقبولاً عضواً في طائفة هذه المهنة او هذه الحرفة ، يتبع قوانينها ولوائحها ويحتفظ بتقاليدها

وكانت هذه القوانين واللوائح والتقاليد تحدد كيفية الانتاج وأثمان المنتجات ، وكياتها توزّع على أصحاب الاعمال كلٍّ بحسب مقدرته وبحسب حاجة الاسواق . كما تحدد عدد العمال في كل مصنع وعدد الذين يجوز التحاقهم بالطائفة كل عام

وكانت تبين شروط الالتحاق والانتساب . فلا يدخل في الطائفة كل من هبَّ ودبَّ . بل يرجع ذلك أولاً وأخيراً الى حاجة العمل الى الأيدي الجديدة

يبتدىء المنتسب الى الحرفة او المهنة « صبيًّا » أي تلميذاً « apprenti » يدفع عن تعليمه أجراً عالياً . ويُمضي في التدريب زمناً طويلاً لا يقل عن سبع سنوات وقد يصل في بعض الحرف الى اثنى عشر عاماً ، يتتبع فيها « معلمه » الذي يتعهد تربيته ويلقنه أسرار الصنعة في دكانه او مقيماً في منزله آكلاً شاربًا نائماً

فاذا ما أتمّ الصبي مدة تعليمه بنجاح ، أصبح عاملاً Compagnon وبحث عن عمل عند أحد المعلمين يقتات منه . وفي هذه الحالة يُفرَض على العامل تمرين جديد لا تقل مدته عن خمس سنوات يؤدي بعدها امتحاناً ويقدم تحفة فنية اذا نجح فيها قبل معلماً ، وأبيح له والحالة هذه ان يفتح دكاناً يشتغل فيه مستقلاً يساعده في ذلك عدد محدد من الصبيان والعمال

قدر البقاء لنظام الطوائف طوال القرون الوسطى الى قبيل الثورة الفرنسية لانهُ نظام اتفق وطبيعة الاشياء في ذلك العهد الذي سادت فيه الصناعات اليدوية ، ذلك العهد الذي يسمى بال Artisanat . ومن فضائل هذا النظام انهُ تعهد بالتعليم الفني والصناعي واحتفظ بالمهن والحرف في مرتبتها الرفيعة وأنشأ خير العلاقات بين اهل الطائفة الواحدة عمالاً وأصحاب اعمال

فكان أمل كل طائفة يجتمعون مع الشعور بانهم متكافلون متضامنون يعملون على رفعة الطائفة ورقي المهنة ولا يشتغلون لمجرد الكسب وحسب ، ولكن ايضاً مع الاعتقاد بانهم يؤدون رسالة واجبة عليهم نحو الجماعة فيحسنون الاداء ويضعون همهم وشهمهم في الاحتفاظ بشرف المهنة وبكرامة الطائفة قبل نظرهم الى مصلحتهم الخاصة

وكانت علاقات أفراد الطائفة بعضهم ببعض أشبه ما يكون بعلاقات الاسرة الواحدة : فيها الرئيس وفيها الاعضاء لكل منهم درجة تفرض عليه الطاعة لمن يعلوه مرتبة . فلا حرب بينهم ولا تنازع على الأجور ولا على شروط العمل . وكانت سلطة صاحب العمل سلطة رب الاسرة فيها رحمة وفيها شفقة وفيها حدب على الفقير والصغير وفيها تقويم لعمله وخلقه ، لا استغلال فيه ولا إرهاق

إلاّ أن عهد الطوائف لم يحتفظ دائماً بفضائله بل تداخل فيه عيبان كانا السبب في هدمه

العيب الاول : تحولت تقاليده من الخير الى السوء بأن استعاض مشائخه بالنفوذ والمحسوبية من الامتحان والتحفة الفنية في إرتفاع العامل من درجته الى درجة المعلمين حيث أجازوا في النهاية لأي شخص أن يصل الى الاستاذية مقابل مال يدفعه كما أجازوا لابن صاحب العمل أو لزوج ابنته ان يحل محله في مصنعه دون قيد ولا شرط . وقد غلب والحالة هذه عنصر المال على عنصر الفنّ وابتعد المعلمون عن العمال وفقد العمال أمل الارتفاع الى طبقة أصحاب الاعمال وانحفرت في النهاية الهوة سحيقة بين العمال وأصحاب الاعمال

العيب الثاني : لما اخترعت الآلات الميكانيكية وظهر عهد الصناعات الكبيرة والانتاج الكبير عجز نظام الطوائف عن مسايرة التقدم الصناعي فقاوم اهله إدخال الآلات الميكانيكية في الصناعات واضطر أقبال ذلك الزمان الى استصدار مراسيم بانشاء « فابريكات » سميت « بالفابريكات الملوكية » كانت تعمل خارج المدن تحت حراسة الجنود

كل ذلك أفضى الى قيام مشكلات واضطرابات فمن جهة بدأ العداء بين العمال واصحاب الاعمال . ومن جهة ثانية نافس اصحاب الاعمال بعضهم بعضاً . ومن جهة ثالثة قاوم اهل الطوائف السلطات العامة في حمايتها للفابريكات الجديدة والصناعات الميكانيكية التي كان من أوضح نتائجها إيجاد العطل في صفوف المنتجين عمالاً واصحاب اعمال

ولما تدرّجت الحال سوءًا حرمت الحكومات إجتماع الطوائف . وتبعتها الثورة الفرنسية التي هدمت نظام الطوائف بقانونها المعروف باسم قانون Le Chapelier الصادر في ١٤ — ١٧ يونيو سنة ١٧٩١

البحث الثاني : نتائج هدم نظام الطوائف

ظهور رأس المال واستغلاله العمال

هدمت الثورة الفرنسية نظام الطوائف دون أن تحل محله نظاماً آخر . فأصبح العمال بين طرفة عين وانتباهتها عزلاً منفككين لا قوانين تحميهم ولا نظام يرعاهم في وقت كانوا أحوج مايكونون الى التنظيم والحماية بسبب ظهور الرأسمالية في قوة وعنفوان وجبروت تجمع في الوقت نفسه بين أوضع المنافع وأحط الرذائل ، تجمع بين الاكثار من الانتاج وخلق الصناعات ونماء الثروات وبين استغلال العمال وخفض مستوى المعيشة

وكان من أسباب ذلك انه لما استنبطت الآلات الميكانيكية وأدخلت في الصناعات كعنصر من عناصر الانتاج ، استغنى أصحاب الاعمال عن العمال الاخصائيين الفنيين من ذوي المهارة وطول المرانة . واكتفوا بالعمال الآليين العاديين

وتدفق العمال العاديون على المصانع وتنافسوا فيها وزاد العرض من جانب العمال وقلّ الطلب من جانب أصحاب الاعمال فتدهورت الاجور وتحكم أصحاب الأعمال في العمال وفرضوا عليهم الشروط القاسية واضطر العمال الى قبولها لضعفهم وفقرهم وشدة عوزهم فأضحى العمل سلعة رخيصة وضيعة حقيرة لا تكفي صاحبها أوده اليومي فعمّ البؤس وشاع الفقر في السواد الاعظم من الشعب وتكونت طبقة البؤساء الذين نزلوا الى حضيض الفاقة والجوع والحرمان

وقد تحققت في تلك الاوقات بعض النظريات الثورية الكارلمكسية التي تقول بتضخم الثروة في أعلى المجتمع وبزيادة الفاقة في أسفله. فاذا ما حسبتم متوسط ايراد الفرد في مجموع الامة وجدتموه — كما هو الحال الآن في مصر — يهبط يوماً بعد آخر هبوطاً مخيفاً مريعاً أعجز الناس عن مواجهة الحاجيات الضروريات للكيان، فانحطت الاجسام وضعفت العقول وانطبعت مظاهر التعس والشقاء على المجموع الذي أخذ ينحدر طبقة بعد أخرى وجيلاً بعد آخر الى مهاوي التأخر والاضمحلال. ولقد تأثر الرأي العام بمشاهدة تلك الحال، وبدأ أهل البصر من العمال المتيقظين يفتحون عيون اخوانهم ليقاوموا هذه المأساة. ولكن ثمّ، والقوانين تحرم عليهم أي نوع من أنواع الاجتماع

لقد اضطرّ العمال والحالة هذه الى التحايل على القانون. فأسسوا جمعياتهم على هامش القانون تحت ستار هيئات قد يحللها القانون كجمعيات التعاون والمساعدة المتبادلة وما اليها

ولكن الادارة الحكومية اذا ما غضت الطرف حيناً عن هذه التشكيلات في جو من التساهل أباحته سماحة بعض الحكومات، فانها كانت تأخذ عادة هذه التشكيلات بالعنف اذا ما زالت السماحة عن تلك الحكومات. فكانت تشرد العمال وتضطهدهم وتقبض عليهم وتحيلهم على المحاكم التي كانت تأخذهم بأشد العقوبات

فاضطر العمال الى التكون لا على هامش القانون، ولكن على الرغم من القانون في جمعيات سرية، انتشرت في جميع البلدان الصناعية وامتازت بوسائل ارهابها الشنيعة المنطبعة من الاعتداء على النفس وقتل اصحاب الاعمال ومديريهم والانتقام من ذويهم الى حرق منازلهم وتخريب مصانعهم واغراق مناجمهم

فظائع هلعت لها القلوب، واقشعرت من هولها الاجسام. وأثرت في الرأي العام تأثيراً عميقاً. فقرر مجلس العموم البريطاني تشكيل لجنة برلمانية لتحقيق أسباب هذا الاضطراب، أسفرت نتائج تحقيقها عن أن حرمان العمال حقّ تشكيل النقابات هو أصل الشر وسبب كل بلاء. فصدر قانون ١٨٧١ — ١٨٧٦ باباحة تكوين النقابات للعمال ولأصحاب الاعمال وسارت فرنسا في هذا السبيل فأصدرت قانون ٢١ مارس ١٨٨٤ المعدل بقانون ١٢ مارس ١٩٢٠ لهذا الغرض نفسه

البحث الثالث : الحد من شرور الرأسمالية
وافتتاح عهد الديمقراطية الاقتصادية

إن الاعتراف بحق العامل في انشاء النقابات هو حجر الزاوية وضعة العمال في بناء الديمقراطية الاقتصادية

قضى العمال والحالة هذه على عهد « الاقتصاديين الأحرار » الذين سادوا العالم بنظرياتهم من أواخر القرن الثامن عشر الى بداية القرن العشرين ، مدعين بأن قوانين طبيعية تتحكم في الشؤون الاقتصادية بالدقة والضبط اللذين تتحكم بهما في سير الاجرام السماوية . وقد ادعوا أيضاً أن المصلحة تحتم ترك الناس يرعون شؤونهم كما تترك الاجرام السماوية تسير في أفلاكها ، فان حصل هنو او غلط رجعت الاشياء الى أصولها من تلقاء نفسها

كل هذا كلام في كلام . وحقيقة الواقع ان سياسة الترك laisser faire أنتجت الفوضى الاقتصادية علاوة على ما أنتجتهُ من مفاسد ومظالم وارتباكات وأزمات . وأنتجت فوق ذلك انعزال الفرد عن جماعته الطبيعية التي تكفل حمايته فأضعفتهُ وأخضعتهُ لسلطان رأس المال وجردتهُ من كل سلاح يقاوم بهِ مساوئه وطغيانه

ولما عدلت الدولة عن سياسة « ترك الشؤون الاقتصادية » للافراد ، ولما ردت الدولة العمال الى جماعاتهم الطبيعية وأباحت لهم حق الاحتماء والانتظام في نقابات تزيدهم حياة وقوة وترسم لهم طريق الدفاع عن مصالحهم ، والأخذ بأسباب النهضة والتقدم ، أخذ بناء الديمقراطية الاقتصادية ينمو شيئاً فشيئاً بفضل جهود العمال وجهادهم المستمر وتأثيرهم في البرلمان وفي الرأي العام . وقد عاونهم في ذلك الحكومات والرأي العام اولاً ثم اصحاب الاعمال أنفسهم أخيراً . أما الحكومات والسلطات العامة فقد تغيرت آراؤها في ماهية العامل بعد أن عدتهُ اداة من أدوات الانتاج ووضعتهُ في مرتبتها . ولم تكن الدولة قد فطنت بعد الى انهُ شريك في الانتاج إن لم يكن العامل الأول فيهِ

وعلى هذا الأساس كانت الدولة تبذل جهدها في الاحتفاظ بالاجور الوطنية بفكرة ان نقص الاجور فيهِ إنتقاص لتكاليف الانتاج . وهذا الاقتصاد ضرورة لخفض الاسعار ، مما يشجع على الاستهلاك ويدفع رأس المال الى الاكثار من الانتاج جرياً وراء الربح الكبير واقتناء الثروة . ولم تكن الدولة قد أدركت بعد ان ثراء بعض الافراد ثراء فاحشاً ليس ثراء حقيقيًّا للبلاد . بل بالعكس ، فكثيراً ما كان بناء تلك الثروات الطائلة على حساب الشعب وفقرهِ . ودليل ذلك انكم اذا ما حسبتم نصيب الفرد من مجموع ثروة البلاد وجدتموه والعدم سواء مهما تبلغ ضخامة ثروات بعض الأفراد

وقد أخذت الدولة تشعر بأن التعس المتزايد يوماً بعد آخر في الصفوف الفقيرة قد يؤثر في النهاية في صحة الافراد ودرجة ادراكهم الفكري والثقافي وفي حيوية الشعب وغوه ورقيه وفي النهاية في مستقبل الامة نفسها

وانقلبت أوضاع السياسة العمالية من جانب الدولة : فبعد ان كانت تقمع بالقوة والقهر مطالب العمال في زيادة الاجور، أخذت تشجعهم على المطالبة بذلك وتساعدهم على تحقيق مطالبهم . وقد أخذت من وجهة عامة تحسن أحوالهم وترفع مستوى حياتهم باعتبار أنهم الركن الهام في الانتاج وانهم السواد الاعظم من السكان وهم الرأس المال الحقيقي للبلاد تتقدم منفعته على سواه من رؤوس الاموال

وهكذا وضع الحجر الثاني في بناء الديمقراطية الاقتصادية بتحرير الافراد من رقبة المال

من ذلك الوقت والدولة الحديثة ترى — على خلاف ما كانت تراه الدولة السابقة — ان أهم وظيفة لها تعهُّد سواد الشعب بالحماية والرعاية، تسعى في ترقيته وتقويته واعداد الحياة الهنية الرفيعة له

عنيت الدولة أولاً بالصحة العامة للافراد خصوصاً عن طريق وقايتهم من الامراض ، تساعدهم على نظافة الجسم، ونظافة المنازل والمعامل، وتشجع البلديات على اعداد المياه الصالحة للشرب وبناء المجاري . كما ان الدولة تقاوم الامراض الوبائية وتعد المستشفيات العازلة ومختلف المصحات . وكذلك عيادات للتطبيب خصوصاً من الامراض السرية من الاختلاط الاجتماعي او الجنسي . وتحتفظ بالصحة بالسهر على سلامة الأغذية ومحاربة الفاسد منها والمغشوش . وتنشىء معامل التحليل لمختلف الأغراض الطبية ، والمطاعم الرخيصة تسدُّ بها حاجة الشعب الى التغذية الصحية الرخيصة كما انها تحارب تعاطي المسكرات والمخدرات

وعنيت الدولة ثانياً بسكنى الطبقات الفقيرة بالقضاء على الاكواخ والعشش الرديئة والتشجيع على بناء المنازل الصحية الرخيصة يقيم بها الافراد والجماعات . وتقوم هي ببنائها من تلقاء نفسها . وتتخذ في ذلك مختلف السبل منها ما هو منصوص عليه في قانون Le Louchieur الصادر قبل الحرب الماضية في فرنسا ومنها ما هو خاص ببناء مدن بأسرها تحوطها الرياض ويطلق عليه اسم Cité Jardin أي «مدن الحدائق» ومنها أنواع أخرى يضيق المقام عن ذكرها

وعنيت الدولة ثالثاً بالرياضة العامة والترفيه عن الافراد . فشجعت الكشف ودفعت البلديات على بناء ميادين الرياضة ومدرّجاتها وأحواض السباحة . وأصبح أهم الاول للبلديات القيام بالعمران فهي تبني دوراً ومجموعات للمدارس والمستشفيات والعيادات وأحواض السباحة ودور البريد ولندوة حيث يستمع المواطنون لمختلف الاذاعات اللاسلكية وحيث يشاهدون مناظر السينما

المسلية أو التعليمية والثقافية. هذا خلاف المتنزهات والملاهي العامة، ورياض الاطفال وما اليها

وعنيت الدولة رابعاً باقتصاد الافراد تحوطه بالاعانة والتنمية: أما اعانتهم فعند الحاجة. ثم هي انشأت لهم مختلف التأمينات ضد حوادث العمل والمرض والعطل والشيخوخة والوفاة. وأما التنمية فالتشجيع على الادخار اولاً بانشاء صناديقه تحيطها بمختلف الضمانات، وبالتشجيع ثانياً على إنشاء جمعيات لمختلف أنواع التعاون، وبالسعي ثالثاً الى زيادة الاجور سواء بالمطالبة بها أو بتقرير حد أدنى لها

وعنيت الدولة خامساً بشؤون الطفولة والامومة. فأصدرت التشريعات الحامية للشاب وللطفل وللام، وأنشأت معاهد تشرف على الامومة قبل الولادة وبعدها، ومعاهد تتعهد الطفل منذ الولادة وتتدرج به مع تقدم سنه الى ان يصل الى التعليم وهو في عنفوان القوة يقبل على الحياة مستعداً لها مملوءاً بالرغبة في العمل والأهلية لخدمة الوطن

ان نصيب الدولة في الميدان الاجتماعي عظيم جداً لا يقف عند حد ولا حصر. بل انه يزداد كل يوم نمواً وتنويعاً. ولقد اصبحت وظيفة الدولة في النهوض بأسباب التقدم العمراني وظيفة أساسية وصرنا نتعرف درجة تقدم الامم لا من ثروات افرادها ولا من مظاهر بذخهم واسرافهم ولكن بعد منشآتها الاجتماعية وبقوة نفوذها في حياة الشعب تدفعه الى النهوض دفعاً. والدول الكسولة المتأخرة هي المتباطئة في طرق هذا الميدان، المتباعدة عن شعبها تهمله ولا تعرف له كياناً الا عند ابتزاز أمواله لتصرفها في امتاع الأغنياء وليبقى هو في جوعه وعراه راضياً عن حياة جهله ومرضه وفاقته وشقاه

بقي علينا أن نذكر أن التطور الاجتماعي يأخذ في اتجاهه الحديث الى تحرير العمال من رقة رأس المال طريق اخراج العمال من طبقة الاجراء وادخالهم في طبقة الملاك

لقد تبينا فيما مضى ان العلاقة بين العمال وأصحاب الاعمال كانت شراً وعداء عند ما انتظم العمل على أساس الانتاج الكبير بالآلات الميكانيكية وعلى أساس ابتعاد العمال عن أصحاب الاعمال وذلك بعد هدم الطوائف التي كانت تجمعهم

ثم تكونت النقابات — نقابات العمال وأصحاب الاعمال — على أنها أداة حرب ونضال بين طبقتي العمال وأصحاب الاعمال. تستخلص كل طبقة معالمها من الاخرى بسلاح القوة والقهر، فمن تغلب منها طغى وتجبر. ومن انهزم وقف بالمرصاد حتى يأخذ بالثأر. وهكذا يتمكن العداء بين الطرفين ويدوم التناحر وتهدم في النهاية صروح للانتاج كان من مصلحة الجميع ان يحيطوها بالبقاء

الا اننا شهدنا — خصوصاً بعد الحرب الماضية — تياراً جارفاً يقلب أوضاع العلاقة

بين أصحاب الأعمال والعمال . وبعد أن كانت العلاقة حرباً وعداء ، بدأت تتجه نحو الصفاء والشعور بضرورة التعاون لمصلحة الانتاج العامة وللمصلحة الخاصة للعمال واصحاب الاعمال جميعاً

وترفع الولايات المتحدة الامريكية لواء الزعامة في نشر هذه الآراء الحديثة . ويرجع الفضل في كشفها الى مهندس عالمي ذي فكر عميق كان أول من وضع قواعد التنظيم الصناعي الحديث الذي حمل اسم Paylor فعرف مذهبه باسم الـ Paylorisme . يحوي هذا المذهب قواعد للعمل منها جعل العمل سهلاً معقولا للاكثار من الانتاج ووضع العلاقات بين العمال واصحاب الأعمال على اساس التعاون والتضامن والثقة المتبادلة . وقد أخذ بهذه المبادىء الرئيس روزفلت عندما وضع أسس الاقتصاد الجديد المعروفة باسم الـ New Deal أو les Nouveaux Codes Roosevelt لعلاج الأزمة الاقتصادية بالولايات المتحدة

وقد سار على نهجه النابغة فورد صاحب مصنع السيارات الشهير حيث ساعد عماله على انشاء كثير من المؤسسات التي ترفع مستواهم . وقد إمتاز بأمرين

الاول : السعي في زيادة إنتاج العمال بزيادة ساعات الراحة والسهر على الصحة وتنويع اعمالهم بأن اهلهم للعمل شتاء في مصانعه وصيفاً في مزارعه

ثانياً : رفع اجور العمال رفعاً لم يشاهده التاريخ من قبل ، مما يضاعف قدرتهم على الشراء فاستطاع كل عامل اقتناء سيارة من مصنعه وكانوا والحالة هذه اول معامليه العاملين بصدق على نشر سياراته في الاسواق

ولقد بنى معمل « باتا » علاقاته بعماله على أساس اخراجهم من كونهم ادوات مسخرات الى كونهم شركاء في مسؤولية العمل كل في دائرته يصيبهم ربحه ويحتملون خسارته

وتحققت فكرة التعاون بين العمال واصحاب الاعمال في شركات كثيرة حيث يجلس مندوبو العمال ومندوبو الشركة يتداولون معاً في تحسين أوجه الاستغلال والاقتصاد في النفقات مما ينشأ عنه ارباح للعمال تزيد اجورهم إرتفاعاً

ولقد نشأ عن زيادة الأجور في أمريكا أن ساهم العمال في الشركات التي يعملون فيها فأصبحوا مالكين لشطر كبير من اسهمها يدفعهم الى الحرص على حسن القيام بأعمالها والسهر على مصالحها

وأنشأ العمال كثيراً من الجمعيات التعاونية للانتاج ساعدت في توازن العلاقات بينهم وبين اصحاب الاعمال وانتشرت في جميع البلدان انتشار جمعياتهم التعاونية للاستهلاك

ولقد استلزم كل ذلك انشاء البنوك المالية التي اختصت بتمويل مشروعاتهم الاقتصادية وساعدتهم على الادخار والاحتفاظ بأموال النقابات . وأخذت هذه البنوك التي يمتلك العمال جميع اسهمها تقوى وتنتشر كما قويت العمالات التي يمتلكها العمال

البحث الرابع : معنى التحول الاخير الديمقراطية والحكم على مختلف ضروبها

ما معنى هذا التحول الجديد في علاقة العمال برأس المال ، وهو الذي نشاهده في خروج العمال من طبقة الاجراء الى طبقة الملاك ؟ وهل هذا يعني القضاء على عهد الأجراء المسمى بالـ Salariat ويفضي الى تحول الديمقراطية الاقتصادية الى عهد جديد يتأسس على المساواة الحقيقية الصادقة أو على اعطاء الفرد من يوم ولادته حظهُ في الوصول دون عائق إصطناعي الى تلك المساواة ؟!

هذا التطور يبعدنا كثيراً من حالة البؤس والفاقة التي رافقت العمال طول حياتهم في القرن التاسع عشر حيث ازدهرت الرأسمالية وطغت تعادياتها على الانسانية المعذبة . لقد اشاع هذا التطور في صفوف العمال الرخاء والسعادة والشعور بالامتلاك والكرامة ، وقضى على الهوة الساحقة التي كانت تفصل فيما مضى بين الغني والفقير

ولكن هل يفيد كل ذلك اننا قضينا على الرأسمالية وعلى مساوئها ؟ ان الرسمالية تعاني الآن متاعب جمة . وقد يتفق الجميع على أنها في النزع الاخير ، ويتحدث الجميع عن نظام جديد يعلن الدكتاتوريين تفاصيله في طبل وزمر وتهويش وتشويش ، بينما يتكلم عنه المفكرون في تردد واناة وفي شيء من الضعف ...

إن البلد المفلس في مبادئه ، العظيم في اقتصادياته هو الاتحاد السوفييتي وهو محط الانظار لجميع الاحرار والموئل الذي تلجأ اليه الديمقراطية الصادقة في أيامها السود التي تمر بها الى ان تحين فرصة النصر لأن تنشر ألويتها على العالم الجديد

واذن فلنسأل سؤالاً أخيراً ، هل من الخير للديمقراطية أن يكون الاقتصاد فرديًا أو اجتماعيًا . هذه نقطة شائكة لا أريد زيادتها تعقيداً بزيادتها تفصيلاً ، فأختصر الاجابة عليها بما يأتي :

إن عنصر الاستهلاك في الاقتصاد هو بطبيعته من شأن الافراد

اما من جهة الانتاج ، فيجب أن نقرر مبدئيًا أن الفرد حقيقة كائنة ، وأن الجماعة حقيقة كائنة . ولقد كان للانتاج الفردي وللانتاج الجماعي مزايا لكل منهما ومضار . والامثلة على ذلك عديدة لاتقل الحصر تحدوها مسرودة سرداً وافياً في الكتب الخاصة بأزمة رأس المال

فان كان هناك أفراد منتدمون نامون قادرون على القيام بالمشروعات الاقتصادية تركنا لهم الانتاج من غير غضاضة دون ان نعطي لهم فرصة استغلال الغير بالربح غير المشروع

وإن لم يتوافر في بعض البلاد أفراد منتدمون من النوع السابق أو كانت هناك مشروعات

كبيرة يعجز الافراد عن القيام بها او كانت هناك مشروعات مثمرة او تتطلب نوعاً من الاحتكار فلا بأس من ان تتولاها الدولة بنفسها

على أنهُ لا توجد في العالم بلدان تتمسك بالاشتراكية الكلية او بالفردية المطلقة :

فقد يقضي النظام الاقتصادي الجديد N. E. P. في الاتحاد السوفييتي بأن تهيمن الدولة على الاقتصاد . ولكن الدولة تبيح الملكية الفردية والتعامل التجاري واستغلال الارض بواسطة الجمعيات التعاونية Kolkhoses

وفي بلاد تركيا ، تستغل مواردها الاقتصادية شركات يملك نصف أسهمها الافراد والنصف الآخر أو ما يزيد عليه قليلاً تملكه الدولة

على أن الفردية المطلقة لا تسود أيضاً في بلادها المختارة كانكلترا والولايات المتحدة حيث كوّن الأفراد شركات هائلة واتفاقات بين الشركات تؤدي الى الاحتكار وتمنع المنافسة . وهي في استغلالها أقرب ما يكون الى الاستغلال الاشتراكي

وفي فرنسا تقوم الدولة بعدة احتكارات في استغلال الدخان والكبريت والبريد والأزوت وبعض مهابط المياه المولدة للكهرباء ، وغير ذلك من الاقتصاديات كما تستغل شركات متحدة جميع أنواع السكك الحديدية

وفي مصر تستغل الدولة سككها الحديدية . وقد أثبتت كفايتها وعلو كعبها في هذا الميدان مما لا يبيح ترهات بعض الموظفين الجامدين الذين يرددون من وقت لآخر بأن الدولة لا يمكن ان تتدخل في الاستغلال الاقتصادي

والحقيقة والواقع انهُ ليس من الخير ان يتقدم الانسان في الشؤون الاقتصادية بحلول متطرفة قد تكون جامدة أو على شيء من الجرأة والتهور وأكره ما يجب ان نكرهه حركات الانقلاب النجائية . لقد أطلت في بيان أضرارها فيما ذكرتهُ عن الثورة الفرنسية . ولقد مكثت بلاد الاتحاد السوفييتي طويلاً تعاني ثورتها الاقتصادية الى ان صححت مركزها في الـ N. E. P. وتحولت من الشيوعية المطلقة الى نوع من الاستثمار الفردي والاجتماعي — حتى وصلت اليوم الى أعظم ما يتصوره العقل من الرقي الاجتماعي والصناعي ومن النهضة الفكرية والادبية . وهي تقف اليوم في وجه المعتدي العاتي مرفوعة الجبين تعلوه ناراً وحماماً وتهد من شوكته وجبروته ، واضعة نفسها مباحاً منيعاً أمام كل عدوان على الانسانية

هذه هي كلمتي الاخيرة عن الديمقراطية الاقتصادية وخلاصتها — مع إقراري بتنوع وسائلها وأساليبها — ان يمتنع استغلال الانسان للانسان وان توجه الاموال العامة الى خدمة الجماعة وان يتساوى الجميع في حفظ الحياة الرفيعة الراقية

وجه
المعادن التنقيب عنها
في الظلمة ٣٩٤
المعراج والتصوير
الاسلامي ١٦٨
المغنريوم في البحر ٤٦٥
مكتبة المقتطف : ارواح
وأنبـاح ٥٠١ — امين
الريحاني ٣٠٦ — اوليات
النحالة ٢٠٥ — تراث العرب
العلمي ٢٠٢ ـ تسعة وثمانون
شهراً في المنى ٥٠٦ — حياة
مي ٤٠٩ — المخبأ رقم (١٣)
١٠٧ و٣٠٠ — دعاء الكروان
١٩٨ — ذكرى مي ٥٠٧ —
ديوان أبي تمام ٤١١ —
الراعي والرعية ٤١٠ —
وفيات الثالث والثاني في
روايات الاغاني ٥٠٥ —
سوء تفاهم ٤٠٤ — الطريق
١١٠ — الطريق والاديب
مجلتان ٣٠٤ — ظواهر حجرة
تحضير الارواح ٤٠٦ —
عروس النيل ٣٠٢ — عيون
منصورة وقصص أخرى
١٠٨ — فرنسا الحرة ٣٠٦
في الحديقة القديمة ٣٠٠ —
وجه
القافلة المنسية ٣٠٥ ـ قاموس
الصحافة العربية اليومية
٣٠٧ — قصر النظر أسبابه
وعلاجه ٣٠٤ — قصص
للاطفال ١١١ و ٣٠٧ —
مأساة فرنسا ٥٠٤ — المشرق
مجلة ٥٠٦ ـ مشروع التدريب
الامبراطوري ٣٠٧ ـ النظام
الحكومي في بريطانيا
٣٠٧ — نبذة العصر في
أخبار ملوك بني نصر ٣٠٧ —
هؤلاء الانكليز ٣٠٧ —
المنجنيس وفيتامين ١٠٣
ملاحظات علمية لغوية ٤٩٣
مي أحاديث عنها ٩ — ٦٨
— ابراهيم عبد القادر
المازني ٥٦
— انطون الجميل ٤١
— إيمي جير ٣٥
— خليل مطران ٦٢
— طه حسين ٢٣
— عباس محمود العقاد ٢٩
— محمد عبد الغني حسن ٦٥
— مصطفى عبد
الرازق باشا ١٠
— منصور فهمي ٤٧
وجه
— هدى هاشم شعراوي ١٦
الميكروب طائفة جديدة
من قاتلاته ١٩٣
الميكروبات والليزوزيم ١٠٤

(ن)

نابليون حملته على روسيا ٢٢٣
النبات مفرداته ١٨٧
النبات والاشعة التي فوق
« البنفسجية ١٠١
النبات والفيتامين ٤٠٢
النباتيون المشهورون وما
يرمز اليهم به ٣٨٩ و٤٨٢
النروجيين عصره ٧
النحاس والرصاص
تسممهما بالزرنيخ ٢٩٩
النفس « قصيدة » ٤٨٠
نفسية الافراد والشعوب ٨٩
النفط ٢٨٨
النوترونات والصفات
الوراثية ٤٠٣

(هـ)

هتلر وروزفلت ٣١٨
الهستيريا وانواعها ١٣١
الهكسوس اصلهم
ومواطنهم الاول ١٦٠

وجه
الطعام المركب بالكيمياء ١٩١
الطعام والتدخين ٩٩
الطفولة والتربية ١٦٤ و٢٥١
طيوف اكليل الشمس والسدم
والعنصران الخفيان ٩٨

(ع)

العالم العربي بين
الديمقراطية والعلم ٤٢٧
العدالة والتعبدي ١٧٣
العرب والتفكير العلمي ٢١٣
و٢٦٨
عربات سكك الحديد
سعتها ٤٠٣
العلماء صداقتهم والحرب ٢٩٨
علم البلورات ٣٠٩
العلم بين الشيخوخة
والتعمير ١١٨
العلم الحديث والشعور
الديني الكوني ٩٤
علم النفس ابحاث فيه ١٣٩
و٢٥٧
علم النفس وتنمية
الافراد والشعوب ٨٩
العلم والاستبداد ١٩٢
العلم وادوات الحرب ٢٩٠
العلم والدين وأثرهما ١

وجه
العلم والمطاط والحرب ١٢٢
عنصر البريليوم ٣٣٧
العناصر في ماء البحر ٩٧
العوالم ونظمها ٢٤٠
علاج جديد للحروق ١٠١

(غ)

الغذاء التسمم به ٢٧٣

(ف)

فرحة الحياة قصيدة ٣٣٣
فريبي «مسرحية» ٤٥٠
الفكر الحديث بين حقائق
العلم وشكوكه ٢٠٥
فوق الحياة (قصيدة) ٣٤٨
فيتامين B والشيب ٩٩
فيتامين B والكتان ٢٩٦
فيتامين C نقصه ٤٠٣
فيتامين C والمنجنيز ١٠٣
الفيتامين والنبات ٤٠٢

(ق)

القافلة المنسية (تعليق) ٤٩٩
قرح المعدة والحرب ١٩٣
القلب رصاصة فيه ٩٧
القلب والاسنان ٢٩٩
القمر جوّه واصل
النجوات ١٧٥

وجه
قنابل الدافع المضادة ٣٩٦
القنفذ اطلاق ريشه ٢٩٩
القلاع الطائرة أوهنها
القنية ١٠٠

(ك)

الكاروتين وحرب الجو ٢٩٨
الكتان وفيتامين B ٢٩٦
الكون جغرافيته ٢٤٠
الكيمياء الحيوية
وجسم الانسان ١٢٧

(ل)

اللغة العربية دواعيها ٤٦٠
اللوزتان وشلل الاطفال ١٠٤
الليزوزيم وترقيع
العيون ١٠٤
الليزوزيم والبكروبات ١٠٤

(م)

المتخصص الاجتماعي ٣٣٢
المجهر الكهربي ٢٩٧
المجهر الكهربي تاريخه ٤١٣
المحيط اسراره ١١٣
مداواة السم بالسم ١٩٢
المرض ومقاومته ١٠١
مرض بارلو والبرتقال ٤٠١
المرقب الكبير ٤١٣

وجه

الحرب وحمى التيفوس ٢٩٥
الحرب والاختراع ٢٩٤
الحرب والاسلوب الاقتصادي ٤٦٨
الحرب والأشعة السينية ٢٦٣
الحرب والاوبئة ٦٩
الحرب والبريطيوم ٣٣٧
الحرب وقرح المعدة ١٩٣
الحرب والسياسة والجغرافية ١٩٠
الحروق علاج جديد لها ١٠١
الحروق وعلاجها بالسلفاديازين ٤٠٢
الحرية الفكرية الدفاع عنها ١٣٧
الحل البلوري بالأشعة ٣١٦
حمام الزاجل في الحرب ٣٩٧
حمى التيفوس والحرب ٢٩٥
الحياة كيف ظهرت على الارض ١٥٢
الحيوان في «الامتاع والمؤانسة» ٢٤٥ و٣٤١
الحيوانات في المحاكم ٣٩٩

(خ)

خزائن الكتب وكتاب طرازي ٤٣٢

وجه

(د)

«الديمقراطية والعالم» لحق مقتطف فبراير ومارس ومايو ١٩٤٢
الدين والعلم وأثرهما ١

(ذ)

الذباب قدرته على المشي ٢٩٩
الذرة وبراغ ومحنها ٤١٣
الذرة غزاتها ٤٤٥

(ر)

الراديو تبين أشعته ٤٠٣
رجل «قصة» ١٣١
الرصاص والنحاس تسممها ٢٩٩
روزفلت وهتلر ٣١٨

(ز)

الزرنيخ يسمم الرصاص والنحاس ٢٩٩

(س)

*السرطان علاجه بالجهاز الرحوي ٤٠٠
السلفاديازين والحروق ٤٠٢
السم بالسم مداواته ١٩٣
سؤال رياضي ٣٩٣
سؤال حله ٤٩٥

وجه

صياد البحر ٢٢١

(ش)

شلل الاطفال والاوزتان ١٠٤
الشمس بعدها ٢٩٣
الشيب وفيتامين B ٩٩

(ص)

صفائح على قبور ١٥٠ و٣٣٠
الصناعة الحربية في الولايات المتحدة ١٠٢
صيام الانسان ٢٩٩

(ض)

الضحية (مسرحية) ٣٥٧
ضغط الدم والحضارة ٣٩٥
الضمير الانساني طبيعته ٣٦٦

(ط)

الطائرات كشفها ١٩٤
الطائرات الفلاع الطائرة اوصافها الفنية ١٠٠
الطاقة توليدها في المستقبل ٤٣٧
الطاقة الكهربية نقلها اموا جاً في الاثير ٨٣
الطالب العربي ورسالته ٤٤٠
طرازي فيليب وكتابه ٤٣٢

فهرس المجلد المائة

من المقتطف

وجه

(ا)

آلة تبين المجرمين ٤٠٠
الاختراع في زمن الحرب ٢٩٤
الامراض العصبية ٣٥٠
أساطين العلم (براغ) ٣٠٩
الاسنان والقلب ٢٩٩
الاشعة التي فوق البنفسجية والنبات ١٠١
الاشعة السينية والحرب ٢٦٣
الاضاءة — أضرارها في أثناء الغارات ٤٠٣
الاضطرابات العقلية في علم النفس الحديث ١٣٩ و ٢٥٧
الاغاني اصلاح صناعتها ١٤٤
الاقتصاد وأسلوبه في الحرب الحاضرة ٤٦٨
الام وأثرها في الطفل ٢٣٤
الانسان أقرب أشباهه من الحيوان ٤٢١
الانسان جسمهُ والكيمياء الحيوية ١٢٧
الانسان والصيام ٢٩٩
الانسان وضغط الدم ٢٩٩
الاوبئة في الحروب ٦٩

وجه

(ب)

البرازيل ومكافحة البعوض ٣٢٥
براغ (وليم) وعلم البلورات ٣٠٩
البراق النبوي وقصة المعراج في التصوير الاسلامي ١٦٨ و ٣٩٣
البرتقال ومرض بارلو ٤٠١
بريد الحمام والحرب ٣٩٧
البريليوم والحرب ٣٣٧
بعوض الجامبيا ٣٢٥
البقر لبنها والحديد ٤٠١
البلورات علمها الحديث ٣٠٩
بولونيا المحتلة والعلم ٣٩٩
البيضة والطائر وزنهما ٤٠٢

(ت)

تاجور رابندرانات كما أعرفه ٧٣، ١٧٧، ٢٧٧، ٣٧٣، ٤٨٥
التألق يفضح ١٩٥
التحذير بالكهربية ١٩٤
التدخين والطعام ٩٩
التربية البدنية

وجه

في الطفولة الاولى ١٦٤
في الطفولة الثانية ٢٥١
التسمم الغذائي ٢٧٣
التعدي والعدالة ١٧٢
التفكير العلمي عند العرب ٢١٣ و ٣٦٨
التمساح في الرسيس ٣٩٢
التيفود طول بائلسه ١٠٠

(ث)

الثروة الحيوانية تنميتها ٣٨٤

(ج)

الجهاز الرحوي وعلاج السرطان ٤٠٠
جهاز يتبين أشعة الراديوم ٤٠٣
جهاز يتبين الطائرات وراء الضباب ١٩٤

(ح)

الحديد في لبن البقر ٤٠١
الحرارة والذاكرة ١٠٥
الحرب وبريد الحمام ٣٩٧
حرب الجو والكاروتين ٢٩٨

فهرس المجلد التاسع والتسعين

من المقتطف

وجه

(ا)

الآثار الاسلامية
في العراق ٣٣٥
الآثار العراقية بين
الماضي والحاضر ٣٢٩
ابن بطوطة ورحلته ١٣٣
الأنوار وحب الشباب ٣٠٣
الاحلام تعليل غير
شاف لها ١٩٩
الأحياء البحرية محطة
لها بالفردقة ٩٥
الأدب والعلم مفاضلة
بينهما ٢٤٩
الاذن سمعها وطنينها ١٩٩
الارض التي ندافع عنها
(لحق يونيو)
الازمة العالمية والشباب ٤٤٩
الازهار التحكم فيها ١٩٨
الأسرة المصرية تطورها ٢٤
اشبنجلر أسواله
عقيدته ١٨١، ٢٩٥
اشبنجلر أسواله
يهوديته ٤٠٦، ٥٢٠

وجه

الأشعة التي تحت
الحمراء ومعجزاتها ٤٩
الأشعة التي تحت
الحمراء فوائدها ٥١
الاصلاح الاجتماعي
معركته ٣٦١
الأصوات ومدى سمعها ١٩٧
الاضاءة أحدث وسائلها ١٤٩
أقوال تؤثر ٣٤٤
الكسندر من المهندس
وجهاز الاسبلدين ٥٢٤
الأمة قبل الجيش (لحق يونيو)
الانتحار زيادة حوادثه
في أميركا ٧٦
الانسولين مصانعه
في مصر ٤٩٢
الأنواع مشاهدة تحولها ٧٥
الأوهام وتولدها وعموها ٤٥٦

(ب)

البحث الكيميائي
هبوطه في الحرب ٧٤
البرد في القطب الشمالي ١٩٥

وجه

بشار بن برد في الحرب ٢٠٨
بقاع الجمال وأثرها
في الشعر والادب ١٦٣
بول جون الدكتور
وما أسداه الى المساحة
المصرية ٣٨٠
بياعة التفاح (قصيدة) ٣٤

(ت)

التبغ من البحر ٧٤
تشرتشل شيء حوله ١٧٧
التوائم تشابه خصائصها ٧٥
تيمور فنه وقصصه ٦٤

(ث)

الثانية جزء من
مليون منها ١٩٦

(ج)

الجاسوسية في حروب
الايونيين ٤٦٦
جزيرة كريت وأصول
العمران الأوربي ٦٠
الجمال بقاعه وأثرها
في الشعر والادب ١٦٣
الجنطلمان (قصة مصرية) ٣٧٣

وجه
جهاز الاصليدين والمهندس الكسندرسن ٥٢٤
الجوع والحرب ٢٠٣
الجيش والامة في مصر (لحق يونيو ١٩٤١)

(ح)

الحرب والجوع ٢٠٣
الحرب الجوية وتأثيرها في الصناعة الالمانية ٥٠٥
حرب المواصلات ٥١٣
الحرب العظيمة ٨٩
الحرب في سنتين ٣٩٥
الحرب والمرض ٢٠٢
الحرب وهبوط البحث الكيميائي ٧٤
الحرب والوباء ٢٠٥
حصاد الصيف ٣١٣
الحياة اصلها ٤٧٨
الحياة فيها ٣٣٨
الحياة والشفاء سر ١٨
الحياة والموت (قصيدة) ٣٦٠
الحياة مخاطرها في غوامضها ٣٦٩
الحيوانات البرية حلال الحرب ٥٢٣
الحيوانات تغيير جنسها بعد الولادة ١٩٥
الحيوانات جوعها وسط السمة والثراء ٧٣
الحيوانات حيلها في الفرار من الخطر ٧٧
الحيوان فضله على الانسان ٤٩٢

(خ)

خراطين استراليا (ديدان) ٥٢٨
الخطر الذي يهدد المدنية ٢٩٠

(د)

* الدار الاسلامية في مصر ١٠٥، ٢١٧
الدرقية توقيت افرازها ٥٢٧
الدفاع سياسة في مصر (لحق يونيو ١٩٤١)
الدفتيريا والكزاز والمناعة الدائمة ١٩٨
الدم ضغطه ١٤٦
الدم فحصه في الوالدين وبولادهم ١٩٤
الدم فحصه في مصر القديمة ١٩٦
الدور المصرية في العهد التركي ٢١٨

(ذ)

الذهب تحديد سعر ثابت له ٢٧٧
الذهب حشده في الولايات المتحدة ٢٧٩
الذهب العودة الى معياره ٢٨٦
الذهب مستقبله ٢٧٧

(ر)

رحلة ابن بطوطة ١٣٣
ركفلر فروع معهده في اوربا ٣٠٠
الرياضة البدنية فوائدها في الصحة ٣٥٦
الرياضة البدنية عند العرب بعد الاسلام ٣٥٨
ريتان ارنست ١٦٩

(ز)

زائدة دودية مزدوجة ٥٢٧
الزجاج المصري معجزاته ٢٣٦
زيت صلب كالفولاذ ٣١٨

(س)

السلع التجارية الشرقية ورواجها في ديار الغرب ١١٣
السلفانيلاميد تأثيره في النبات ٥٠٧
السلفانيلاميد والسل ٣٠٢
السلوكية مذهبها ١٠
سمكة كوكب البحر وسمها ٥٠٨
السم في الكبد والبصل ٧٥
السيادة البحرية وسياسة الدفاع في مصر (لحق يونيو ١٩٤١)

وجه
البيكولوجيا الفيزيائية ٤٢
(ش)
الشباب ازاء الازمة العالمية ٤٤٩
الشعر سقوطهُ ١٢٧
الشعر في المعارك والحروب ٢٦٧
الشمس كيف تجدد نشاطها ٣٠١
الشمس لا جديد تحتها ١٩٨
(ص)
الصدأ يرفع بناية كبيرة ٥٢٨
الصناعة وتقدمها في مصر ٧١
الصيف حصاده ٣١٣
الصينيون فقرهم ٧٧
(ض)
ضغط الدم ١٤٦
الضمير الاجتماعي في مصر ٤٣٣
ضوء النهار في الانابيب ٤٢٥
(ط)
الطائرات سرعتها ١٩٧
طاغور أثره في كاتب انجليزي ٣٥٣
طاغور في مصر ٤٤٠
طبيعة العبقرية ١٧
الطيران في الحرب العالمية الماضية ١٩٤
الطيور تحور لها من الانوثة الى الذكورة وقتيًا ٧٤

وجه
(ظ)
ظاهرة غريبة ٧٧
الظرف في مصر القديمة ٧٧
(ع)
العبقرية والجنون ٩ ٢
العبقرية طبيعتها ١٧
العراق مناحتهُ ٣٣٦
العرب والعلم ٣٢٧
العقارب ترياق سمها ٤٩٢
العلم والحرب وضرورة التعاون بين العلماء والسلامة ٤٠٩
العلم والادب مقاضلة بينهما ٢٤٩
علم النفس ابحاث فيه ٢٧٩، ٤٥٧
» وأثره في الصناعة الحديثة ٣٤٥
العناصر تحولها ٧٦
العناكب نسجها ٧٤
العوامل الجوية والقطن ٨
عودة الملاح (قصيدة) ١٣٦
العواطف والبصر ١٩٨
عينان معصوبتان (قصة مصرية) ١٣٧
(غ)
غد يحيا — (قصيدة) ٤٧٧
(ف)
فجر القبرة (قصيدة) ١٧٤

وجه
الفكاهة في الادب العربي ٤٨١
الفكر واللغة طبيعتهما ٤٥٧
فلسفة النشوء الخالق ٢٥
فن الحياة ٣٣٨
فؤاد الملك هضبته والنتائج العلمية لرحلة (مباحث) ٤٤٤
فيتامين B والاعصاب ٣٠٢
(ق)
القبط وما يجب عليهم نحو اللغة العربية ٢٦٣
القرية اصلاحها وقرية الانتقال ٧٢
قسطاكي الحمصي الحلبي ٣٥
القصور الفاطمية ١٠٩
القمبريون ١٣٢
(ك)
الكزاز والدفتريا والضناعة الدائمة ١٩٨
الكركند سرُّ سرعته ١٩٧
الكروم والعمل الذي لا يصدأ ٤٧٠
كرمت وطن الحضارة ٦٠
كشاف الطائرات الحربية ٤٩
كوكب البحر ونسله ٥٢٨
(ل)
اللغات السودانية الشرقية ١٥٤

وجه

(م)

الماء كيف يصل الى رؤوس الاشجار ٢٢٥
« مباحث » رحلتها العلمية ٤٤٤
متاحف العراق ٣٣٦
مخترعو الورق والصناعة ٧٣
مدام دو دوڤن ندبتها ١٧١
مذهب السلوكية ٤١
مرض حسن الرائحة ١٩٤
المرض والحرب ٢٠١
مرضى السرطان وافتقارهم الى الراديوم ١٩٦
مصر وطريق الهند في القرن (١٨) ٢٥٠، ٢٥١
مدرموقعها الحق يونيو ١٩٤١
مصر سكانها الحق يونيو ١٩٤١
معادن الحرب ٤٧٠
المعتقدات نشوءها ٤٧
معركة المواصلات في أوربا ٥١٧
مفارقات (قصيدة) ١٢١
مكتبة فخمة
ابن المقفع ١٩٠
أرواح شاردة ٤١٨
أغاريد زغلف ٨٧
أمين الريحاني ٨٦

وجه

بحث علمي لفتاة شرقية ٣١١
تطريب العندليب ١٨٨
الثقافة الجنسية والامراض السرية ٤٢٠
الدانيمركة ٥٣٢
الدرر النفيسة المجلد الاول ٥٣٤
الرسالة ١٨٣
سلطان الظلام ١٩٢
الصعلوك « أبو شوشه »
الموكب ٤١٧
الصناعات الكيميائية في مصر ٥٢٩
الصين وفنون الاسلام ٣٠٤
ضحكات ابليس ٨٥
علم الامراض الباطنة ٣٠٧
العمارة الاسلامية ٨٣
الغدد الصم وتكييفها للشخصية ٥٣٥
القاموس الحديث ٥٣٣
قصص محمود كامل ٥٣١
كليلة ودمنة ١٨٩
محمد فريد ٣٠٨
مسند يشرب برتيب ٧٨
معجم الثديات ١٨٧
الوثائق التاريخية لعهد محمد علي ١٩١

وجه

الوراثة وتحسين النسل ٣١٠
ولك عنتر ٤١٩
يوم مع قدماء المصريين في منف ٨٧

ملكات منفيات ٢٩٨
الملكة البرايت
اليونانية ٢٩٨
الملكة جيرالدين ملكة
البانيا ٢٩٩
الملكة راماياراني ملكة
سيام ٣٠٠
الملكة اميليا البرتغالية ٣٠٠
الملكة زيتا امبراطورة
النمسا وملكة المجر ٢٩٩
الملكة فكتوريا ملكة
أسبانيا ٢٩٩
الملكة هيلين ملكة
رومانيا الوثنية ٢٩٨
« الممالك المحرية
دولة ٢١٧م
المهندس المناخ
المصري ٣٠٨
المواد القرنية عند ٣٠٣
المواليد ازديادها و القرى أعظم منه
في منف ٧٦
المواصلات في الحرب ٥١٣

	وجه
الموتى وخدمتهم للاحياء	٤١٤
مي مختارات لها	٣٨٥، ٤٩٧
مي والمقتطف	٤٩٦
(ن)	
النبات الاخضر	١
النبات حاجته الى معادن	٥٢٦
نسيج العناكب	٧٤
النشوء الخالق فلسفته	٢٥
النظام الجديد في اوربا من الوجهة الاقتصادية	٤٠١
النفط والحرب في اوربا	٣٢٣
النهار ضوءه في الاناييب	٤٢٥
الهرمونات وحب الشباب	٣٠٣
هرمين امبراطورة لمابا	٣٠٠
(و)	
الوباء والحرب	٢٠٥
(ي)	
اليخضور الشافي	٤

JANUARY—MAY 1942 يناير—مايو سنة ١٩٤٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

انشئت سنة ١٨٧٦

المجلد المائة

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by: FUAD SARRUF

VOL. 100

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr